

آذار ونيسان سنة ١٩٤٣ صفر وشهر ربيع الاول ١٣٦٢

عَثَراتُ الأَفْمام (١)

في ما لا تفرّق بين صوابه وخطأه الاقلام

أريد بقولي (عثرات الافمام) الاغلاط اللغوية التي انما يظهر خطؤها حين نطق الافمام بها . وهي لو كتبتها الاقلام لما كان بين خطئها وصوابها فرق : نحو كلمة [أزَمة] بمعنى الضيق والشدة يقال أزَمة مالية مثلاً . فان الاقلام لا تغلط بكلمة [أزمة] اذا كتبتها حتى اذا تناولتها الافمام بالنطق غلطت بها : فبدل ان تنطقها [أزَمة] بالتخفيف كما هي في اللغة الفصحى تعثر وتقول [أزمّة] بالتشديد . فالفم هو الذي يغلط . اما القلم فلا ناقة له في هذا الغلط ولا جمل .

والأفمام جمع فم [بتشديد الميم] وهي لغة للعرب نقلها بعض العلماء : قال الرضي ابن الحنبلي الحلبي [المتوفى سنة ٩٧١ هـ] في كتابه [بحر العوام في ما أصابت فيه العوام (٢)] ما نصه [ومن ذلك قولهم في جمع فم افمام : ففي القاموس حكايته . فلا عبرة بعد الحريري إياه في درّة الغوّاص من افضح الاوهام] اهـ

لكن جمع فم على افواه [بالهاء] هو الأفصح والأشهر . وانما اخترت [الافمام] في العنوان فقلت [عثرات الافمام] ولم اقل [عثرات الافواه] ليتناسب ويزدوج بعنوان [عثرات الاقلام] الذي اخترناه عنواناً لانتقاداتنا اللغوية التي كان المجمع ينشرها منذ حين في الصحف المحلية .

وتغيير صيغة الكلمة بقصد ان تكون مزاوجةً لصاحبتها ومشاكلة لها في صيغتها

(١) محاضرة للأستاذ المغربي القاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق في ١ شباط سنة ١٩٤٣ م

(٢) نشر هذا الكتاب برمته في مجلة المجمع العلمي (سنة ١٥ ص ٢١١) .

مما يتوخاه بلغاء العرب تزييناً للكلام . وشواهده كثيرة . منها قوله صلى الله عليه وسلم : [إرجعن مأزورات غير مأجورات] واصله [موزورات] من الوزر وهو الذنب .

والألفاظ التي تعثر بها الافهام كثيرة . وهي تختلف باختلاف الحركة والسكون والتخفيف والتشديد : فالكلمة يكون اولها مفتوحاً في فصيح اللغة فيضمه الناس أو يكسرونه خطأ . او يكون اولها مضموماً فيفتحونه او يكسرونه . اومكسوراً فيضمونه اويفتحونه . او يكون وسطه متحركاً فيسكنونه . اوساكناً فيحركونه . اومشدداً فيخففونه . او مخففاً فيشددونه . كل ذلك يفعلونه على خلاف الفصيح المعروف لدى اهل اللسان .

فأقسام الكلمات التي تعثر بها الأفهام إذن عشرة : ويمكن ان تتصور أقسام أخر . لكننا اقتصرنا على هذه العشرة لكثرة الشواهد عليها فنذكرها واحدةً واحدة . ونمثل لكل منها بطائفة من الشواهد قليلة او كثيرة قدر ما يقع في الكف منها

ولا يخفى عليكم أيها السادة ان إحياء اللغة الفصحى بيننا لا يمكن حصوله بمراعاة قواعد النحو فقط ولا بالتزام حركات الاعراب في اواخر الكلمات التي نتكلم بها في كلامنا الدارج : فان هذا ليس بالميسور . ولا المستطاع للجمهور . وانما المستطاع هو تطهير كلامنا من الكلمات العامية المبتذلة واستعمال كلمات فصيحة مكانها : فان هذا هو المستطاع . وكذلك من المستطاع لنا ان ننطق بالكلمات الفصيحة على الشكل الذي كان ينطق به الفصحاء . اي من دون تحريف أوتحويل في حركات الكلمة وسكناتها وتخفيفها وتشديدها والخروج بها عن قواعد علم الصرف وقوانين اللغة . وهذا ما توخيته في محاضرتي هذه وقلت لكم ان اقسامه عشرة .

ويحسن قبل الشروع في موضوع المحاضرة ان أنبه الى امرين :

(١) ان كلمات اللغة قسمان : قسم يصح ان نسميه [الكلمات الادبية] وهي ما يستعمل في الخطابة والكتابة والتأليف . وقسم نسميه [الكلمات اليومية] وهي ما يستعمل في لغة الحياة العامة : لغة البيت والشارع ومجالات الانس والسمر : فالكلمات التي نسردها في محاضرتنا هذه ونصحح ضبطها وخطأ الأفواه بها إنما هي كلمات من القسم الثاني المتداولة على لسان الجهور . أما غير المتداول وهو كلمات القسم

الأول فلا نتعرض له : لأنه من جهةٍ هو قليل العدد . ومن جهةٍ أخرى لا ينتبه الى خطأه الا المتخصصون في علم اللغة .

مثال الكلمات اليومية كلمة [خُراجة] بمعنى الدمل . هو مخفف الراء وعامتنا في لهجتهم اليومية يشدّدونها خطأً فننبه اليه والى امثاله .

واما كلمة [فُوّارة] التي يشددونها خطأً وهي ما يقوّر ويقطع من الثوب والجلد فهي ليست من [اللغة اليومية] الدارجة بل هي من اللغة التي دعوناها [اللغة الأدبية] فلا نتعرّض لها ولا لأمثالها

(٢) انما نعتمد في [عثرات الافهام] واغلاطها على افهام اهل القطر الذي عشنا فيه معظم حياتنا . أعني بلاد الشام [لبنان وسورية] فقد سلخنا شطر حياتنا الاولى في طرابلس وشطرها الثاني في دمشق : فاذا قلنا إنهم ينطقون الدال من كلمة [عدن] مفتوحة مذ يقولون [جنة عَدَن] نريد بالناطقين الناطقين في البلدين المذكورين أو احدهما لا كل البلاد . فلا يعترَضنّ علينا اهل مكة او مراكش او بغداد او القاهرة مثلاً — بأن جمهرتهم لا ينطقون بها محركة بل ساكنة .

وعلى هذا فلا بد من الاعتراف بأن فائدة محاضرتنا هذه في تصحيح عثرات الأفهام تكاد تنحصر في بلادنا الشامية بل في اكثر مدنها وفي اكثرية سكانها : اذ قد يوجد بعض الكوَر من بلاد الشام وبعض الناطقين من سكانها من لم يُلِمَّ بهذه العثرات ولا يخطئ بها لسانه .

وتدويننا لهذه العثرات الخاصة بقطرنا ليس بدعاً من عمل علمائنا الأولين . هؤلاء : أصحاب [المزهر] و [أدب الكاتب] و [فصيح ثعلب] و [ذيل الفصيح] و [التنبيه[1] على غلط الجاهل والنبيه] — كلهم أشاروا الى عثرات افهام العامة في بلادهم مع ان هذه العثرات قد لا يعثر احد بها في غير بلادهم : فالبغدادي في [ذيل الفصيح] مثلاً صحح قول عامة زمانه في [مغص البطن] فقال [يقولون : أصابه مغصٌ بفتح الغين وصوابه التسكين] مع ان اهل البلاد الأخرى او الازمنة الاخرى قد لا ينطقون بها محركة بل ساكنة كما هي لغتنا الدارجة اليوم .

(١) نشر هـذا الكتاب برمته مصححاً ومعلقاً عليه فراجعه في مجلة المجمع العلمي سنة ٦ ص ٦٣ و ٩٠ و ١٣٦ و ١٧٤

وهذا أوان الشروع في ما اليه قصدنا · وسنحافظ على ترتيب الكلمات بحسب حروف الهجاء جهد طاقتنا

(القسم الأول ما كان أوله مفتوحاً فتعثر به الافهام وتضمه)

[بَحيرا] الراهب بفتح اوله وكسر ثانيه وهم يقولون بُحيرا على هيأة التصغير

[بَكرة] يقولون [جاءوا على بُكرة أبيهم] بضم الباء وصوابه [بَكرة] أبيهم بفتحها · والبكرة الشابة من الأبل

[ثَقْب] في الحائط صوابه فتح اوله وهم يقولون [ثُقب] بالضم

[جَراءة] مصدر جرؤ بفتح أوله والناس يقولون [جُراءة] بضم الجيم · اما [الجرأة] من دون الف بعد الراء فبضم الجيم على وزن جُرعة

[جَوعان] بفتح أوله على وزن سكران والناس يضمون جيمه ويقولون [جُوعان]

[حَزَنبل] على وزن سفرجل والناس يقولون [حُزُنبل] بضمتين فسكون

[حَزيران] بفتح اوله وكسر ثانيه وهم يقولون [حُزَيران] بضم اوله وفتح ثانيه على هيئة التصغير ··

[حَنجَرة] الحلقوم بفتح الحاء والجيم والناس يضمونها ويقولون [حُنجُرة]

[حَوْران] بفتح الحاء والناس يقولون [حُوران] بضمها

[خَلف] يقولون في المثل [سكت ألفاً ونطق خُلفاً] بضم الخاء وصوابه فتحها ومعنى الخلف هنا رديء القول

[دَهاء] بفتح اوله وهم يقولون [فلان صاحب دُهاء] بضم الدال خطأ

[الزَوْر] في اسم مدينة [دير الزَوْر] بفتح الزاي وهم يقولون [دير الزُوْر] بضمها خطأ

[سَراة] القوم اشرافهم بفتح اوله وهم يضمونه كقُضاة خطأ · وهو جمع [سريّ] على غير قياس

[شَعاعاً] بفتح الشين وهم يقولون [طارت نفسه شُعاعاً] بضمها غلطاً · والشَّعاع المتفرّق

[صَحفة] الطعام بفتح الصاد والناس يضمونها ويقولون [صُحفة]

[صَوّان] بفتح الصاد وهم يقولون [حجر الصُّوّان] بضمها . والصوّان ضرب شديد من الحجارة يقتدح به كما في القاموس

[طَرَفة] بن العبد بفتح الطاء والراء اسم الشاعر الجاهلي المشهور وأصل معنى [طَرَفة] شجر ذو ضروب وهم يقولون [طُرْفة] بضم فسكون على وزن غرفة خطأ

[ظَرْف] يقال [فلان فيه ظَرْف] او [عنده ظَرْف] اي كياسة ولطافة . وهو بفتح الظاء وسكون الراء والناس يقولون [ظُرْف] بضم فسكون خطأ

[عَبِيد] بن الابرص الشاعر الجاهلي بفتح اوله و كسر ثانيه وهم يضمون أوله على هيأة التصغير خطأ

[العَلاء] ابو العلاء المعرّي بفتح العين وهم يضمونها بل يضمون ميم [المعرّي] احياناً

[الغَني] الشيخ عبد الغني بفتح الغين والناس يقولون [عبد الغُني] بضمها

[الفَخ] بفتح اوله والناس يقولون [وقع في الفُخّ] بضم الفاء خطأ .

[فَوْضى] بفتح الفاء وسكون الواو على وزن سكرى و بعض الناس يضمون الفاء خطأ . أما (شُورى) فبضم الشين

[قَرْض] اسم للمال المستقرض بفتح فسكون وبعض الناس يقولون [قُرض] بضم القاف

[قَرَنفُل] بفتح القاف والراء والناس يضمونها غلطاً

[قَرَوي] بفتح اوله وثانيه نسبة الى [القرْية] والناس يقولون [قُرَوي] بضم اوله وفتح ثانيه

[قَمْع] بفتح فسكون اسم للأداة التي توضع في فم الاناء حين صب المائعات فيه . وفي أمثالهم [أعطشُ من قَمع] والناس يقولون [قُمع] بضم القاف خطأ

[لَجْنة] بفتح اللام والناس يضمونها و يقولون [لُجنة]

[مَشين مَريع] يقولون [عمل مُشين وخطب مُريع] يضمون الميم فيهما والصواب فتحها لأنهما اسما مفعول من شانه وراعه . فهما كمعيب

[مَطْل] الدين بفتح الميم وهم يقولون [مُطل] بضم اوله غلطاً

[المَغْربي] يقولون [الشيخ المُغَربي] بضم الميم وفتح الراء والصواب فتح الميم

و كسر الراء نسبة الى بلاد المغرب ويجوز فيه فتح الراء مع بقاء الميم مفتوحة لئلا تتوالى الكسرات

[المَغرة] بفتح فسكون طين أحمر يصبغ به ويجوز فيه [مَغرَة] بفتحتين . والناس يضمون الميم ويقولون [مُغرة] .

[المَوْصل] البلد المعروف هو بفتح الميم والناس يقولون [المُصل] و [المُوصلي] بضم الميم فيهما خطأ . وقولهم (الموصلّي) بتشديد اللام نسبة تركية

[ماروني] بفتح الميم بعدها الف نسبة الى القديس [مارون] والناس يقولون [موراني] بضم الميم وبعدها واو كأنه نسبة الى [موران] ولكن لا نعلم من هو [موران] هذا ؟

[النَّقْل] بفتح فسكون ما يتنقل به من فستق وبندق ونحوهما . والناس يضمون أوله ويقولون [نُقل] غيرَ أن بعض اهل اللغة يجوّزون فيه ضم النون

نَقوع نَشوق لَعوق سَعوط سَفوف . إلى أمثال هذه الكلمات مما طبعت صيغته على وزن [فَعول] فان أوله مفتوح وهو بمعنى مفعول . فالكلمات المذكورة بمعنى منقوع ومنشوق وملعوق ومَسعوط ومَسفوف وهكذا فقول الناس [نُقوع] [نُشوق] [لُعوق] [سُعوط] [سُفوف] خطأ مفسد لصيغة الكلمات

[وَرْطة] اصل معناها الوحل تقع فيه الغنم فلا تتخلص الا بصعوبة ثم تجوّزوا بها عن الشدة والتهلكة فيقولون وقع فلان في ورطة عظيمة : لكنهم يضمون الواو خطأ والصواب فتحها

[وَلوع] مصدر ولع بالشيء وَلوعاً بفتح أوله اذا لهج به ولازمه فهو على وزن قَبول لكنهم يضمون الواو ويقولون . [وُلوع] غلطاً .

[يَمنةً ويَسرَةً] بفتح أولها . والناس يقولون جعل يلتفت [يُمنة ويُسرة] فيضمون اول الكلمتين خطأ .

« تأتي بقية الأقسام العشرة »

المغربي

كتاب البيزرة

البيزرة او البزدرة علم[1] أحوال الجوارح من حيث صحتها ومرضها ومعرفة العلائم الدالة على قوتها في الصيد وضعفها فيه . من قولهم بيزار معرب بازيار اي صاحب الباز أومن قولهم بزدار معرب بازدار أي ذي الباز بالفارسية . واستعمل العرب البازيار وآثروها على البياز [2] العربية مثل الصقار لصاحب الصقر والكلاب لصاحب الكلب والفهاد والفيال والعقاب .

فأصل كلمة البازيار والبيزرة التي اطلقوها على علمه كانوا يقصدون بها أولا حياة الباز وتربيته والانتفاع به ثم تصرفوا بها واطلقوها على علم حياة الجوارح عامة

وكان لهذا العلم في الدول العربية الأولى شأن عظيم لأن جميع الخلفاء والامراء والعظماء يصيدون ولا بد للصياد من اتخاذ الأسباب التي توصله الى الصيد وتمكنه من اصطياد كل ما يريد على ايسر سبيل . وكان لهذه الحرفة شأن كبير في الدولة العباسية رسموها في الأعطيات والفرائض وكذلك للبيازرة شأن في الدولة الفاطمية فكان الواصل اليهم خمسين الف دينار لارزاقهم وطعم جوارحهم والفهود وجراية الكلاب السلوقية واليوازج هذا سوى الدواب التي تشترى لهم في كل سنة . ومؤلف كتابنا هذا كان بيزار العزيز بالله الفاطمي ولم نعرف اسمه بل كتب فقط في آخر كتابه هذا ما نصه . «وقد كان مؤلف هذا الكتاب في جملة البيازرة متقدماً عليهم لا في جملة واحد منهم لا يحسن شيئاً من البيزرة ثم افرده امير المؤمنين صلى الله عليه عنهم وله من العمر احدى عشرة سنة وعلمه وهو لا يملك عشرة دراهم وعليه ثوب برد وخرّج في صناعته الى ما قد شاهده الناس وعرفوه ورقّى امير المؤمنين صلى الله عليه منزلته الى ان صار اقطاعه عشرين الف دينار وبلغ المنزلة التي لو رآها في النوم لما صدق فلا يخفى عن الناس ما كان فيه وما صار اليه» ومما قال هو في أثناء كلامه على

(١) مقالتان للأستاذ رضا الشبيبي في البيزرة (المقتبس) م ٩ ج ١ وج ٢ م ٩

(٢) ارشاد القاصد ص ٩١

بعض الطرائد : ولو ذهبنا الى ذكر ما يبذله (اي الخليفة) من الصلات ويتفضل به من الأرزاق والهبات لم يُحطْ به وصفنا ولا بلغه كنهها .

عرفنا بهذه العبارة المهم من ترجمة المؤلف ورأيناه (ص ٣٥) يروي ويقول : ومن فضل العلم بالصيد والعادة له ما حكاه لي ابي عن اسحق بن ابراهيم بن السندي عن عبد الملك بن صالح الهاشمي عن خالد بن برمك ... فاذا كانت هذه الرواية رواها حقيقة عن اسحق بن ابراهيم بن السندي فتكون له قدم صدق في النبل والوجاهة . وقال انه اخبره مخبر عن ابي العباس بن الداية عن المعتصم . ونقل عن شهرام وكان خصيصاً بالمكتفي لمعرفته وحسن ادبه واخبره ابو بكر محمد بن لحمه الصولي(؟)وعرفنا من سياق تأليفه انه عني به العناية كلها . وانه لا يكاد يثبت في كتابه الا ما صح له من طب الجوارح وحياتها مما جربه بنفسه او نقله عمن اعتقد صدقهم ومعرفتهم ومما قال في صيد الباشق « ولم نصف الا ما صدنا به على أيدينا مراراً كثيرة وكان لمولانا صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين ولقد رأيت له وانا معه صلى الله عليه في الموكب في سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ثلثة عشر باشقاً تصيد كلها الغربان السود الخ » وقال مرة : وما نبقي شيئاً مما جربناه الا ونذكره ولسنا ممن يحشو كتابه ما ليس بصحيح ولا يحتاج اليه ولا نريد الكثرة » وقال في الكلام عن البزاة : « وهذا حسن ان كان صحيحاً لأنني لم اره بل حُدثت به بحضر من جماعة فاستحسنته واثبته في كتابي هذا . ومن اسند فقد بريء من عهدة الحكاية » وقال : « وقد رأينا من غذى بازيه واستعمل في علاجه ما وجده في الكتب الموضوعة التي اكثر ما ضمنته على غير أصل وبغير تجربة » وقال : « وما بنا حاجة الى ان نذكر مالا فائدة فيه بل نذكر ما عالجناه وجربناه وأخذناه من الثقات وما سوى ذلك فقد حكيناه عن قائليه وتبرأنا من الكذب فيه واعتمدنا الحق فيما نقوله ونحكيه وهذا سبيل من وضع كتاباً الا يكذب فيه وان يتعمد الحق فيما يحكيه فانه متى اختبر من كتابه شيءٌ ولم يصح كذّب في الباقي اجمع وما بانسان حاجة الى ان يهجن بنفسه . وكفى بالكذب خزياً واسقاطاً وضعة واحباطاً» وقال مرة : « وما اقرب هذا من الكذب ولكني حكيته كما وجدته وعهدة الصدق

والكذب على قائله دون حاكيه » وقال : « ولا بد لمن صنف كتاباً ان يذكر فيه ما يُصدِّقه ويصح في العقل وما لا يصح في العقل ولا يقبله ليتصفح الناظر في كتابه عقول من يقبل الكذب ويصدقه وعقول من نفاه واستقبحه » وقال : « وقد حُدثنا ان الاخشيد كان له بازي يصيد به في القمر ولم نر ذلك ولا علمنا ان احداً سبقنا اليه وربما زاد الناس في الكلام ونقدوا » وقال : ان اكثر ما ضمنته الكتب الموضوعة على غير اصل وبغير تجربة» بهذا عرفنا تحري المؤلف الصدق في كتابه وكراهته التزيد والقاء الكلام على عواهنه ، فكتابه حقيقة تحفة في بابه جمع فأوعى يبدو في صفحاته جمال التأليف وبعد الغور في التحقيق ، وعبارته منسجمة نقية وأدبه غض طريف وهو شاعر على ما يظهر وله ذوق عال في اختيار أطيب الشعر الداخل في موضوعه

ولا عجب فقد قال عن نفسه . ولم ار في المدة التي لزمت فيها الصيد ومبلغها عشرون سنة الى ان صنفت كتابي هذا في علم البيزرة مثل هذا البازي على كثرة ما رأيت منها ولقد وصل الينا في ليلة واحدة مئة باز من الشرق والغرب وكم تراه ان يصل في كل سنة منها ومن غيرها محمولاً الى مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه مما لم يحمل الى ملك قبله كثرة وجودة وكل ذلك أتولى تدبيره وامارس تضريته والاصطياد به .

بدأ كتابه بعد البسملة بـ الحمد لله الذي له في كل لطيف من قدرته معجز يُتفكر فيه وخفي من صنعه يُتنبه عليه ونعم تقتضي مواصلة حمده ونحن نحث على متابعة شكره والذي ميز كل نوع من حيوان خلقه على حدته وابانه بشكله وصورته وجعل له من الآلة ما يلائم طبعه ومُركبه ويسره للامر الذي خلق له ويؤديه الى مصلحته وقوام جسمه . وجعلنا من اشرف ذلك كله نوعاً واتمه معرفة وجمع فينا بالقوة مافرقه في تلك الاصناف بالآلة . فليس منها شيء مخصوص كان له فيها مصلحة الا ونحن قادرون على مثلها كذوات الاوبار التي جعلت لها وفاء وكسوة تلزمها ولا تعدمها فانا بفضل جبلة العقل نستعمل مثل ذلك اذا احتجنا اليه ونفارقه اذا استغنينا عنه وكذوات الحد والشوكة من صدف ومخلب فان لنا مكان ذلك ما نستعمله من السيوف والرماح وسائر الاسلحة وكذوات الحافر والخف والظلف فان لنا امثال ذلك

مما ننتعله ونتقي اذى الارض به · وجعل لنا خدماً واعواناً وزينة وجمالاً واكلاً واقواتاً · فبعض نمتطيه وبعض نقتنيه وبعض نغتذيه · واحل لنا صيد البر والبحر والهواء نقتنص الوحوش من كناسها ونحطها من معاقلها ونستنزل الطير من الهواء · ونستخرج الحوت من الماء · ولم يكلنا في ذلك الى مبلغ حيلتنا حتى عضدنا عليه وسهل السبيل اليه بان خلق لنا من تلك الانواع اشخاصاً اغراها بغيرها من سائر اجناسها ووصلها من آلة الخلقة وسلاح البنية وقبول التأديب والتضرية والانطباع على الأكف والاستجابة فدلنا على موضع الصنع فيها وموقع الانتفاع بها كالفهد والكلب وسائر الضواري والبازي والشاهين والصقر وسائر الجوارح كل ما يحويه من ذلك لنا كاسب وعلينا كادح وبمصلحتنا عائد · نستوزعه جل جلاله الشكر على ما منحنا من هذه الموهبة وفضلنا به من هذه التكرمة الى ما نقصر عن تعداده ونعجز عن الاحاطة به من عوائد كرمه وفوائد قسمه ونرغب اليه جل جلاله في العون على طاعته ومقابلة احسانه باستحقاقه وصلى الله على محمد نبيه الصادق الامين البشير النذير وعلى آله الطيبين الاخيار وسلم تسليماً وعلى الأئمة من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب حتى تنتهي الى العزيز بالله امير المؤمنين فتشمله ونسله الى يوم الدين اه

هذه المقدمة نموذج من انشاء المؤلف ، وتصنيفه البالغ ثلثمائة صفحة منصفة القطع جميلة الشكل والخط ، كله من هذا الطراز في البيان ولا يخلي فرصة من الصلاة على العزيز بالله صاحب نعمته ودولته · فكان يصفه تارة بقوله « مولانا صلى الله عليه صاحب العصر والزمان » وقال مرة « ورجعت لأعرف مولانا صلى الله عليه فلقيني عمي رضي الله عنه فقال يا مولاي وجدت الطير قلت نعم قال قد شغلت مولانا صلى الله عليه وجئنا جميعاً الى مولانا صلى الله عليه فقبلنا الأرض » وكان الناس يقبلون الأرض بين يدي العظيم من الفاطميين عادة سرت لهم من الفرس لا يقرها الإسلام ولم تكن عند اهل الصدر الأول ولو كانت معروفة لكان الصحابة أولى الناس بتقبيل الارض بين يدي رسول الله ﷺ والسجود ما كان يجوز لغير الله عند اهل السابقة الاولين

قلنا ان للمؤلف ذوقاً عالياً في الشعر مستدلين على ذلك بما اورده من شعر العرب القدماء والمحدثين الى عصره . ومما قال : وما أشبه ما وقع له من ذلك الا بقول القائل

يا حبذا السفح سفح المرج والوادي　　وحبذا أهله من رائح غادي
تَرْمي فرافيره والعيسُ واقفة　　والضب والنون والملاح والحادي

قال : ولي في نحو هذا المعنى وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير منيف على ذروة جبل المقطم مطلّ على النيل فهو سهلي جبلي بحري .

وذكر بعض الاماكن في مصر التي كان يختلف اليها الخليفة الفاطمي للصيد ومما قال وذلك انا ركبنا الى الجيزة فانتهينا الى موضع يعرف بكوم الدُب وفيه بركة كبيرة وفيها غرّ كثير . وقال كنت أقف على كوم عين شمس (هكذا شكل كوم) وصادوا مرة بشبرنمنت

وروى في صفة الفهود الطريدة قصيدة « بذلك أبغي الصيد طوراً وتارة » الخ فقال انها تشتمل على معان كثيرة وقد سرقها عبد الصمد بن المعذّل فقال يصف الفهد الخ وروى قول بعض المحدثين (ص ٢٣)

لولا طراد الصيد لم يك لذة　　فتطاردي لي بالوصال قليلا (؟)
هذا الشراب اخو الحياة وماله　　من لذة حتى يصيب غليلا

وأخذ هذا محمد بن الوزير الحافظ الغساني فكساه لفظاً حسناً في كلمة له يعتذر فيها من تأخير هدية

يفديك خلّ اذا هتفت به　　حرّت مجاري لسانه يده
أخر ما عنده لتطلبه　　ولذة الصيد حين تطرده

محمد كردعلي

بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية

ونظرات فيها

— ٢ —

٥ — اخطبوط

هذه اللفظة لم ترد في معجم من المعاجم العربية ، بل لم ترد في محيط المحيط الذي أورد اسماء كثيرة يونانية لم يذكرها اصحاب الدواوين القديمة . أمـا الاخطبوط فلم يذكرها في (ا خ ط ب ط) ولا في (خ ط ب) ولا في اي ترجمة اخرى من سفره ، انما وردت مراراً في المقتطف .

أما عرب خليج فارس وبحر عمان والديار المبثوثة على سواحلها فيسمونه (الدَوْل) بفتح الدال المهملة ، يليها واو ساكنة فلام . وقول الاستاذ الباكوي : « هو السرطان المعروف » كلام غريب لم يألفه أهل العلم . والمشهور ان (الاخطبوطات) والأحسن (الادوال) هلاميات لها لوامس او مجاس ثمانٍ . والاخطبوط كلمة سورية . وامـا (الدَوْل) فقد ذكره صاحب التحفة النبهانية في ص ٢٦ قال : « هو حيوان هلامي لايهتدي في سيره الى جهةٍ ، وانما تقذفه الامواج على وجه البحر وهو بقدر الا كف فاصغر ، مدوَّرله خيوط طوال نحو ذراع فأطول . » الى آخر كلامه ، وهو طويل ، فاجتزأنا بما ذكرنا .

ونظن انهُ سمي (دَوْلاً) لرخاوته او لرخاوة تركيبه . وفي اللغة : دال بطنه استرخى » .

٦ — ابو قلمون

لم يعين حضرته معنى (ابو قلمون) حتى يقول إنها تعريب Hypokalàmeion وقوله هذا منقول عن شاكر شقير اللبناني في كتاب له صغير يصلح بهِ بعض الهفوات للكتاب . وقد غاب عني اسمه الآن . وكنت قد طالعت فيه هذا الكلام . وكتبتُ الى مؤلفهِ ذاكراً له ان الكلمة اليونانية غير موجودة في كلام اليونان الفصحاء

فمن اين أخذها ؟ وما معناها ؟ فلم احظ منه بجواب . واليوم نسأل هذا السؤال عينه حضرة الاستاذ . فان قال : من اليونانية الحديثة ، فنقول لهُ : ان العرب الاقدمين لم ينقلوا كلمة واحدة عن هذه اللغة ، بل كل الفاظهم مأخوذة من اليونانيةالفصحى القديمة . وابو قلمون في العربية قديمة . ولا يمكن انهم اقتبسوها من الاغريق المحدثين .

واما معناها فيجب علينا ان نعينه قبل ان نذكر اصلها قال في القاموس في (ق ل م) « وابو قلمون ثوب روميّ يتلوّن الواناً . » اهـ — وفي لسان العرب « وابو قلمون : ضرب من ثياب الروم يتلوّن ألوانًا للعيون قال ابن بري : قلمون فعلول مثل قربوس . وقال الازهري : قلمون ثوبٌ يتراءى اذا طلعت الشمس عليه بألوان شتى . وقال بعضهم : ابو قلمون : طائر يتراءى بألوان شتى يُشبه الثوب به » . اهـ

وقال القزويني في كلامه على ابي براقش ما هذا نصه : « وعلى لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى ابا قلمون ، تجلب من الروم » اهـ — وفي مستدرك الشارح لمادة (قلم) ما هذا نقله : « ابو قلمون : طائر من طير الماء يُتراءى بألوان شتى ، شبه الثوب بهِ ، نقله الجوهري عن رجل سكن مصر » اهـ . وقال في (قلمن) : القلمون ، محركة : مطارف كثيرة الالوان . عن السيرافي : وأيضًا موضع . وقد مرّ ايضًا للمصنف ، رحمه الله تعالى ، في قلم . وانما ذكرته هنا لأن الكلمة رومية وحروفها اصلية . وكذا ابو قلمون الذي تقدم للمصنف » اهـ .

وذكر صاحب البرهان القاطع ان القلمون ، بفتح اللام هو « ابو قلمون » نفسه . وهو ضرب من الديباج يُتراءى بألوان شتى . وضرب من الحيوان يُشبه الوزغ يتراءى بألوان شتى . ويطلق على كل من يتلوّن ظاهراً وباطنًا . . . واسم طائر يكون في جبل أيلاوَل . . . »

وقال في (بو قلمون) . . . هو ايضًا الحرباء » الى آخر ما جاء في الكتب اللغوية . وكلها لا تخرج عن هذا القول ، أي ان ابا قلمون او القلمون : ثوب وموضع وطائر والحرباء .

فاذا كان بمعنى ضرب من الثياب المتلوّنة بألوان شتى وموضع وطائر فهو من اليونانية Poikilos,è,on ومعناه المتلوّن بألوان شتى . واما اذا كان بمعنى موضع فهو

من Poikilè وهو موضع في آثينة كانت تعرض فيه افخر الصور الملونة والمنقشة والدقيقة الصنع ؛ لكنها لم تكن تصنع فيه ومثل هذا الموطن كان في اسبرطة وأولنبية .

وأما اذا كان اللفظ ورد بمعنى الحرباء فهو مقلوب قملون باليونانية اي Khamailéon وهو الحرباء نفسه . واما اذا كان معناه الرداء الموشى او الثوب الموشى او المختلف الألوان ، طائراً كان ام حيواناً ام انساناً فهو من بوقيليمون Poikeilimôn وهو كل ذلك لأن معناها ذو الرداء الموشى .

٧ — ازميل

صحيحة الاصل اليوناني .

٨ — اسطار

صحيحة الأصل على حدّ ما قال .

٩ — اسطب واصطب

لا وجود لها في لغتنا ، انما المعروف الاسطبة والاصطبة بالهاء وأصلها كما قال حضرته

١٠ — اسطول

صحيح قوله

١١ — اسطقس

ماذهب اليه صحيح وهو مشهور

١٢ — اسطورة

صحيحة كما قال .

١٣ — اسطنبول

ويقال أيضاً اصطنبول واستانبول واصطانبول واسلامبول وهذه كما في تاج العروس — تبع حضرته في اصل هذه الكلمة رأي جميع المستشرقين وفقهاء اللغة المحدثين قاطبةً . ونحن لا نوافقهم على هذا الرأي فهو غريب المثال بل وحيد المثال .

والأصح عندنا انها قصر الكلمة اليونانية قستانتينوبولس المحرفة المصحفة أي المدينة التي أسسها قسطنطين الملك . وقلب القاف همزة لغة متعارفة قديمة عند العرب . فقد قالوا : القفز والافز ، زهاق مائة وزهاء مائة ، زنق عليه وزنأ عليه ، الى أشباهها وهي كثيرة لا تحصى .

ونظن ان اول ما نشأ ذلك كان في حلب الشهباء ، وذلك لكثرة من كان يهبط اليها من الارمن منذ سابق العهد الى زمننا هذا . وهؤلاء القوم يستثقلون هذا الحرف ويجعلون في مكانه الهمزة وهي أخف على لسانهم ، ولما كان للدولة الحمدانية اثر جليل في اللغة الضادية وآدابها ، انتقل ما شاع فيها من لفظ الحروف العربية وآدابها الى ربوع سورية ولبنان وفلسطين ، بل الى مصر القاهرة ، ولكن لم تتعدّها ولم تنتشر في جزيرة العرب ولا في العراق ولا في سائر الديار العربية اللسان

ولنا شاهد تاريخي نفيس يثبت هذه الحقيقة ، وهي ان صاحب خريدة القصر ذكر في ص ١٤٧ من نسختنا الخطية ، في ترجمة ابي صالح الحلبي المعروف بابن العجمي انه « كان يجعل القاف في نطقه كالهمزة ، وهي لثغة ارمنية في نجاره ، ولغة يهودية من شعاره » اهـ .

فيظهر من هذا ان القاف شاع لفظها بالهمزة من ارمن حلب ثم عمت المدينة ومنها انبثت في سائر المدن التي ذكرناها .

١٤ - ابسكلي

هكذا وردت هذه الكلمة في ص ٣٤٠ ونظنها من خطإ الطبع والصحيح إسكليّ) ، بكسر الهمزة ، يليها سين ، لا ياء ، وفي الآخر ياء مشدّدة ، وهي عامية وصلت الينا على يد الترك ، وليس لها مقابل في اليونانية وانما هي من الرومية ، اي Scabellum وهي تصغير Scamnum ويقال في تصغيرها ايضاً Scabillum ولما نقول ليست في اليونانية اي في اليونانية الفصحى . ولعلها في اليونانية الحديثة وهذه لا اعتبار لها ، اذ قلنا ان العرب لم يأخذوا « مباشرةً » من اليونانية الحديثة كلمة عربية « فصيحة »

ثم ان وجدت في هذه اليونانية الاخيرة ، فانها من أصل لاتيني او عربي ٠

١٥ — افريز

ذكر حضرته الافريز من اليونانية Obryzon فهذه اللفظة تعين (الابريز) اي الذهب الخالص ٠ واما (الافريز) فهو على ما في القاموس طنف الحائط ، فهو من اللاتينية Phrygium

١٦ - افندي

هذه الكلمة لا توجد الا في تاج العروس في مستدرك مادة (ف ن د) وقد أخذناها من الترك وهم اقتبسوها من اليونان ومعناها : المتحكم والمستبد بنفسه والآخذ بالامور بنفسه والمنتحر ، وقد أطلق الترك هذا الحرف على كل موظف في الحكومة التركية وعلى كل أديب او مشتغل بالعلم ولا سيما من يعالج امور الشريعة والسنة والحقوق وهي من Aphentès لا من Aphténtces كما قال

١٧ — اقليم

صحيحة الأصل وانها من اليونانية كما قال حضرته ٠

١٨ — اقنوم

هي في الاصل كما قال حضرته

١٩ — اسفنج

هي من spoggia لا من Spoggee

٢٠ — اكسير

الاكسير عند اهل الصنعة : ما يلقى على الفضة او نحوها ليحيلها جوهراً آخر ثميناً كالذهب الخالص او غيره ٠ وهذه الكلمة بهذا المعنى خاصّ بلغة الضاد ، لكن حذاق الأئمة يظنون انها من أصل يوناني هو Ksèros اي يابس ولعلّ منه معنى المسحوق اليابس ، وهي تنظر الى الهندية الفصحى ksha اي احرق و Ksharâh اي المحرقة

والحوأة أيضاً . ومن الاكسير العربية اخذ الفرنسيون Elixir وكذلك الانكليز .

٢١ — انجر

هي كما قال حضرته

٢٢ — ؟ . . .

لم نجد الكلمة اليونانية التي اشار اليها في المعاجم اليونانية القديمة .

٢٣ - برج

ذهب فقهاء اللغة الى انها من اصل أسياني Asianiqve لامن يوناني ولا من لاتيني ولا من جرماني .

٢٤ — برنس

هو على رأينا من اليونانية Birros لا كما نقله عن فرنكل المستشرق الجليل .

٢٥ - برنى

ذكر حضرته ان معنى هذه الكلمة (الزانية) وهي غير موجودة في لساننا ولا في ديوان من دواوينها اللغوية . انما هي (تُرْنى) ، بتاء مثناة فوقية ، فراء ساكنة ، فنون ، فألف بصورة الياء .

٢٦ — برجمر

قال حضرته انها من اليونانية Parragaupion وهي غير مدونة في المعاجم اليونانية الفصحى . ولعلها ترى في الاغريقية الحديثة وهي ليست من اللاتينية ، لأن الرومان يعترفون بأنها فارسية الأصل ، حتى ان أ . والدي A.Walde لم يتعرض لها في معجمه . وراجع ديوان كيشراه وداڤلوي [1] .

٢٧ — بقدونس

هذه لغة عامية في مقدونس وما كان ينبغي ان تدوّن هنا لهجنتها ، بل في مقدونس وما ذكره في اصلها صحيح

(١) L. Quicherat et A. Davelwy. — Dict. Latin — FR. — Paracaudia, P. 817

٢٨ — بلغم

ظنّ حضرته ان (البلغم) صحيحها (الملغم) وقال هي من Malagma اي خليط (كذا) لكن (البلغم) شيء (والملغم) شيء آخر . (فالبلغم) خلط من اخلاط البدن الأربعة على رأي الاقدمين وهي من اليونانية Phlegma atos والخليط لم ترد بالعربية بمعنى الخلط ، احد امزجة البدن الاربعة .

واما (الملغم) فهي وزان مكرم . ومعناها : الذهب خُلط بالزاووق . وقد الغم فالتغم (تاج العروس في مستدرك مادة لغم) . ومن العربية اخذها الافرنج المحدثون من أهل الغرب اي Malgame . راجع معجم لاروس الصغير المطبوع في سنة ١٩٣٧ فانه صرّح بأنها من لغة الضاد . او (وبستر) فقد قال انهـا من اليونانية كما ذهب اليه الاستاذ الباكوي .

٢٩ — بلقيس

مأخوذة من Pàllèks,ekos ومعناها صبية وبتول ولا يمكن ان تكون من Pallakè,ès لأن هذه تعني الزانية والعاهرة . ومن المعلوم ان (بلقيس) كانت ملكة سبأ ، والعرب اباة النفس لا يملكون عليهم امرأة تكون ساقطة الآداب والاخلاق . وقد قتلوا (لخنيعة) الملك ، فكيف يقبلون ملكة ، وملكة خالعة العذار ولا يخلعونها او لا يقتلونها ؟

٣٠— بندق

نوافقه على أصلها

٣١ — بطاقة

ونوافقه أيضاً على هذه الكلمة وأصلها

٣٢ — بيطار

هي كما قال حضرته ، وفيها لغات : بيطر كحيدر ، وبطير كقتيل ، وبيطر كهزبر ، والمبيطر على صيغة اسم الفاعل .

٢٣ – بوص

قال حضرته : « بوص : الحرير الابيض من Byssos وهو الدمقس » — قلنا : لو قال الاستاذ : البوص : الحرير الابيض لكان اقوم تعبيراً واصح ومع ذلك لم نر احداً قال قوله سوى صاحب محيط المحيط، والكلم (كذا) يعلم انه ليس بحجة ثبت؟ اما اللغويون الاقدمون كاصحاب العين والتهذيب والصحاح والمحكم والامالي والنهاية والقاموس والجمهرة فلم يذكروها في معاجمهم .

انما البوص وردت في كتب النصارى واليهود والارميين لذكرها في التوراة ، وهي (بوصا) بالنبطية

ولا جرم ان اليونان والرومان وسائر الامم اخذوها من لغة سامية لا ان الساميين اخذوها من الغربيين ، وذلك لأنها مشتقة من (البصّ) وهو اللمع والبرق والتلألؤ على ما هو في لسان العرب وغيره

أما الناطقون بالضاد فقد قالوا بهذا المعنى او بما يقاربه : (البرْس) بضم الباء او كسرها ، يليها راء ساكنة وفي الآخر سين مهملة ، قالوا : « هو القطن او شبيه به او قطن البردي (القاموس) — وما سبب هذا الاختلاف في التأويل الا جهل مادة هذا الجوهر

وقد اختلف في حقيقة هذا الكتان او القطن او الحرير ابناء الغرب أنفسهم ، ونحن نكتفي بهذه الاشارة تفادياً من الكلام الطويل ، ومراجعة الاصول الافرنجية في ايدي الكل وعلى حبل الذراع

وقد نقل السلف (البوص) او (البرس) الى لغتين اخريين هما (البزيون) كجردحل و (البزْيون) كعصفور[1] فلتراجع في معاجم اللغة ، استنكافاً من الاطالة في الكلام

(يتبع) الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) ولعل هناك لغة أخرى هي (البزّ) فقد جاء في لسان العرب : (البزّ ، الثياب . وقيل : ضرب من الثياب » وكذلك في القاموس . فيظهر من هذا أن البزّ لغة في البوص أو البرس أو البزيون .

ديوان ابي العلاء المعري

خزانة المكتبة الظاهرية في دمشق كنز حافل بالعقائل الكريمة والأعلاق النفيسة لو قيض الله له من يخرج للناس مافيه من الطرف البديعة والتحف الرائعة لسد ثلما كثيرة في الثقافة الاسلامية ، وملأ زوايا خالية في الادب العربي

عثرت فيما عثرت عليه في هذه الخزانة على رسالة كتب على اول صفحة منها هذه الكلمات [ديوان ابي العلاء المعري] تحت رقم ٥٥٤٣/٥٣

تحلية هذه الرسالة

هذه الرسالة مكتوبة بالخط النسخي الذي يشبه خطوط أهل القرن العاشر فما بعده وقد نسجت عليها عناكب القدم ودب اليها داء البلى وشوه نضرتها تفشي المداد حول الكلمات ، وهي من ورق صفيق يبلغ عدد ورقاتها تسعًا وعدد صفحاتها ثماني عشرة ، طول كل ورقة ٢٢ سانتيمتراً وعرضها ١٧ وعرض الحاشية العليا [الهامش] ٥و٤ والسفلى مثلها وعرض الحاشية من الجهة اليمنى ٥و٧ ومن اليسرى ١٥، وعدد السطور في كل صفحة ١٩ ماعدا الصفحة ١٣ فان سطورها ٢٠ والصفحة الأخيرة فان سطورها ١٣ وطول كل سطر ٨ سانتيمتر والسطور كلها مقدرة على مقياس واحد واستقامة واحدة ، وما بين كل قصيدتين مقدار سطر ، وهو فارغ لم يكتب فيه شيء إلا ما كان قبل القصائد التي على روي الراء والزاي واللام والميم والهاء واللامالف والباء ، فقد كتب قبل كل قصيدة منها اسم الحرف الذي بنيت عليه مثل ، الراء ، اللام ، الميم ...

وليس في الرسالة تاريخ يعين زمن كتابتها ولا شيء غير المقدمة والأبيات وانما كتب على أول صفحة منها ، ديوان ابي العلاء المعري ، كما ذكرنا بخط مغاير لخط الرسالة وكتب تحت هـذه الكلمات على بعد ٦ سانتيمترات اول بيت من القصائد ونصف البيت الثاني ولكنهما منكوسان اي وجههما الى الأسفل وخطهما من خط الرسالة

وتشتمل هذه الرسالة او هذا الديوان على تسع وعشرين قصيدة على عدد حروف الهجاء كل قصيدة منها عشرة ابيات . وتبتدئ كل واحدة منها بالحرف الذي تنتهي به . وهي مرتبة على ترتيب حروف الهجاء تبتدئ بحرف الهمزة ثم بالباء ثم بالتاء الى ان تنتهي بالياء المثناة وقد عبثت ايدي النساخ بأبيات هذا الديوان فجاءت مكتظة بالاغلاط والتحريف والتصحيف مما جعل اكثرها فاسد المبنى مختل الوزن مضطرب المعنى فاقد الروعة والطلاوة وقلما سلم بيت من علة أو خلت قصيدة من خلل ومن امثلة ذلك قوله :

أسود الشرى في الحرب تحمي نفوسها بنجدتها ما لم تعن ظبياء

الا ان قلب الصب في يد غيره حبه بقلبه بالطوع كيف يشاء

بكت رحمة للصب حين عدوه

خذي ادمعي يا ريح هدباً الى الحمى لتسقهم منها الغروب النواضح

ويختال في حلل وأثواب سندس

شعفت بمن يحكي العذال اذرنا

حياني واخطتني ليدك حضوظ

الى غير ذلك من ضروب التقديم والتأخير والزيادة والنقص والتصحيف والتغيير والتبديل مما لا يستقيم معه وزن ولا يصح عليه معنى وفيه ما يشق على الفاتق رتقه ويتسع على الراقع خرقه

تحقيق نسبته الى ابي العلاء التنوخي

المسمون بأبي العلاء من أهل المعرة كثيرون منهم . ابو العلاء بن عبد الله بن المحسن وابو العلاء ابن ابي الندى . وابو العلاء أحمد بن ابي اليسر . وابو العلاء المحسن بن الحسين ... بن جعفر وأبو العلاء سعد بن حماد .

وفي هؤلاء من كان معاصراً لأبي العلاء التنوخي وفيهم من تأخر عنه . ولكن المشهور في عالم العلم والادب والفلسفة هو ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي وهو المتبادر الى الاذهان عند الذكر والمراد عند الاطلاق

وليس في هذا الديوان دليل قاطع على انه لواحد معين من هؤلاء ولكن فيه امارات لا تبلغ درجة اليقين تدل على انه للتنوخي منها

١ — ما كتب على ظهر الديوان

٢ — انه قال في مقدمته · وبعد فقد قال الفقير الى الله الغني ابو العلاء المعري انه قد كان ببغداد وكان يتشوق الى حلب ونواحيها ونظم هذا الديوان · وقد ذكرنا ان المتبادر عند الاطلاق هو ابو العلاء التنوخي لا غيره ولا نعلم احداً ممن كني بهذه الكنية ذهب الى بغداد غيره

٣ — التزامه ان يكون اول حرف في القصيدة وآخر حرف منها واحداً وابو العلاء هذا مولع بالتزام مالا يلزم في صناعة الشعر نزاع الى اظهار قدرته اللغوية في كل مظهر

٤ — ان ابيات الديوان طافحة بالجناس كقوله :

أموت اشتياقاً ثم احيا لشقوتي	كذاك حياة العاشقين شقاء
قتيلاً اذا ناديتموه أجابكم	له شرق بالدمع ان ذكر الشرقا

والمطابقة كقوله :

بعيد على ان الديار قريبة	فحتى متى بالبعد تمزج لي القربا
دوائر ذي الدنيا تدور بأهلها	فتنقص حالات الفتى وتزيد

ومراعاة النظير كقوله

فيا أسفاً ما للمغاني كأنها	سطور محاها الدهر غير حروف
كأني نضار ظنه الدهر بهرجاً	والقاه في نار ليخلص بالسبك

والتلميح الى الحوادث التاريخية كقوله :

يئست من السلوان حتى نكبته	فلو انني غيلان ما سليت مي
يهجن الهوى حتى يرين كيوسف	ويذممن حسناً زانه الحلي والوشي

وارسال المثل كقوله

براني هوى الظبي الغرير وقادني ذليلاً وكم راض الهوى جامحاً صعبا
ثمار المنى من يجنها دون إلفه يجد طيبات العيش مثل الخبائث
طمعت بأن الدهر يبقي مسالماً وهيهات حرب النائبات كظوظ

والمبالغة كقوله :

جعلت امحي ما كتبت بعبرتي وكدت لسقمي في كتابي أدرج
حسان الدمى تصبو الى حسن وجهه وصلد الصفا من لمس كفيه يرشح

وفيها كثير من الصور التي يجعلها ابو العلاء ممهدات للقوافي كقوله

يسير علي الخطب حين الفته والبسته مستحسناً فهو لي زي
سألت وميض البرق حمل رسالتي الى ذي دلال مطمع لي مؤيس

وفيها كثير من الغزل العفيف كقوله :

زررنا علي غير الفواحش قمصنا ولم نستجز الا الذي هو اجوز
زنت أعين منا وعفت ضمائر فبتنا وأيدينا من اللمس تحجز

وفيها كثير من شكوى الزمان والناس والتذمر من الحياة كقوله

كفى حزناً ان لا صديق وأنني فريد بلا عيش يسر ولا نسك
كرهت حياتي واستطبت منيتي اذا ضحكت سني فعيني دماً تبكي
كبرت على شكوى الزمان وأهله ودهر خؤون لست عنه بمنفك

وفيها جملة من الأبيات الجامعة بين قوة الاسر وطلاوة الديباجة وشرف المعنى كقوله :

تراءت لعيني في المنام فأطفأت بزورتها نار الهوى وهي شبت
ربيب مقاصير أبوه وأمه وان كان ابهى منها الشمس والبدر
عفا الله عن ذا الدهر ان رد وصلها وشعب منا كل قلب مصدع
لبست الضنا حتى تبدلت صورة سوى صورتي والحب لا يتبدل
مواردكم اشهى الى الحائم الصدي ولو أنها شيبت بسم الأراقم

وأكثر الغزل في ابيات هذا الديوان مغمور بالتكلف وأكثر الأبيات لا يخلو من تصنع وهذا وامثاله مما تقدم يسوغ أن يكون هذا الديوان من نظم

أبي العلاء التنوخي وكونه قاله في بغداد يؤيد ذلك ولا يضعفه فانه نظم في بغداد قصيدته التي مطلعها

منك الصدود ومني بالصدود رضى   من ذا علي بهذا في هواك قضى
بي منك مالو غدا بالشمس ما طلعت   من الكآبة او بالبرق ما ومضا
اذا الفتى ذم عيشاً في شبيبته   فما يقول اذا عصر الشباب مضى

وفي قصائد هذا الديوان ابيات كثيرة من سنخ هذا الشعر تشبهه في معناه وان كانت ادنى منه في مبناه فلا يبعد ان يكون ابو العلاء سلى نفسه في غربته بتلك الابيات أولبي بها طلب طالب والشاعر قد يتفاوت شعره في قوة الاسلوب وجمال التأليف ونبالة المقصد وقل من جاء شعره كله مطبوعاً على غرار واحد واذا كانت أبيات هذا الديوان ادنى من شعر أبي العلاء في غيره فلذلك اسباب جمة من أعظمها أن ابا العلاء لم يكن عاشقاً صباً ولا غزلاً بطبيعته وان كل ما قاله في باب الغزل متكلف مصنوع جار على غير سجيته ولذلك ترى بعض ابياته في هذا الديوان اذا كانت في غير الغزل اشد أسراً واحكم تأليفاً وأعذب اسلوباً من ابياته في الغزل ويجوز ان يكون قالها ارتجالاً ولم يعد النظر فيها فهي تشبه ابياته اللامية التي اجاب بها القاضي ابا الطيب الطبري في بغداد عن ابياته التي أرسلها اليه فانها مع جودتها أدنى من شعره الذي قاله في بغداد وبعد نزوحه عنها

هذا ما بدالي في هذا الديوان من هذا الوجه

واذا نظرنا اليه من وجه آخر استبعدنا ان يكون لأبي العلاء وهناك امارات أخر تؤيد هذا النظر منها

١ — انه قال في مقدمة هذا الديوان · قال ابو العلاء المعري انه قد كان ببغداد وكان يتشوق الى حلب ونواحيها ونظم هذا الديوان ··· وليست هذه المقدمة من كلامه ولا في الأبيات شيء من التشوق الى حلب ونواحيها · الا اذا جرينا في تأويل كلامه على طريقة الصوفية بأن نجعل المراد ممن يتغزل بها او به في هذا الديوان حلب وضواحيها كما يراد بمثل ذلك في كلام الصوفية ذات الله تعالى وتقدس ولكن هذا غير معروف في كلامه

٢ — لم نجد في فهرس كتبه التي ذكرها ابن العديم وياقوت اسماً لهذا الديوان ولا ما يدل عليه مع ان كلاً منهما ذكر له رسائل وكتباً عملها قبل رحلته الى بغداد وبعدها ونقل المؤرخون والرواة كثيراً من رسائله وقصائده التي قالها فيها ولم نر من ذكر تصريحاً او تلميحاً شيئاً يتعلق بهذا الديوان

٣ — في أبيات هذا الديوان لحن في مواطن متعددة لا يعهد مثله لأبي العلاء كقوله : فما المبتلي والمستريح سواء

برفع سواء وهذه لغة تميم ، اما الحجازيون فيوجبون نصبها على انها خبر ما وقوله : وقلبي الى نحو الأحبة مجبذ ، ولم ار فيما لدي من كتب اللغة من ذكر اجبذ بمعنى جبذ اي جذب . ويجوز ان تكون محرفة عن يجبذ وحينئذ يستقيم اللفظ والمعنى

وقوله : فهل انت للمستودعات حفوظ .

فاني لم أر من ذكر لفظ حفوظ بمعنى حفيظ وحافظ . ويجوز ان تكون محرفة عن حفيظ من حفظ المال او السر اذا رعاه ولا يكون في البيت الآتي بعده ايطاء لأن لفظ حفيظ فيه تكون بمعنى المراقب . على ان اوزان المبالغة مقيسة في كل فعل متعد ثلاثي على ماذكره العلامة ياسين في حاشيته على التصريح

ومثلها قوله :وهيهات حرب النائبات كظوظ فاني لم أر لفظ كظوظ ولعلها محرفة عن كظيظ تقول كظ الغيظ صدره اي ملأه فهو كظيظ . والكظيظ المغتاظ اشد الغيظ . والازدحام . والكظاظ الممارسة الشديدة في الحرب او محرفة عن لظيظ واللظيظ اللزوم والالحاح واسم من الظ بالشيء اذا لازمه ولم يفارقه ويجوز ان يكون مبالغة من كظ على نحو ما ذكرنا

وقوله : يموت اسير الحب قبل انطلاقه   وما يفقد المهلوك من امره شيء

وهلك فعل لازم لا يأتي منه مفعول الا في لغة تميم قال ابو عبيدة اخبرني رؤبة أنه يقول هلكني بمعنى اهلكني قال وليست بلغتي وقال ابو عبيدة تميم تقول هلكه بمعنى اهلكه . ويحتمل ان تكون محرفة عن المملوك ولكن هذا الشطر لايستقيم أعرابه ومعناه على كلا الوجهين فهو على كل حال لا يخلو من آفة او عاهة وليس من

شك في ان النسخ قد عبث بهذا البيت وأسبغ عليه حلة ضافية من الغموض والابهام

٤ — في بعض ابيات هذا الديوان استعارات سمجة وكنايات غثة لا يستسيغها الذوق السليم ولا يتقبلها اسلوب البلغاء بقبول حسن كقوله :

رشا صام علواً فادعت يثرب الحشا وافطر سفلاً فادعت ردفه مصر

٥ — وفيه ما يشتمل على تأليف سخيف كقوله

ثملت بذكراها وطبت كشارب لهـا بالمثاني وحده والمثالث

وقوله :

جلاء همومي طيفكم بوضح الدجى والا فأنفاس الصبـا تتأرج

٦ — وفيه من التشبيه ما لم يعرف مثله لأبي العلاء او لم يؤلف في عهده كقوله

ذوائبـه مسك ثناياه لؤلؤ وخداه تبر والعذار زمرذ

وقوله :

شويدن انس صاد قلبي بلحظـه وطاووس حسن في فؤادي عششا

ولا أعلم احداً من المتقدمين ولا من المتأخرين شبه العذار بالزمرذ وانما يشبهونه بالنمل او النبت . وكذلك لم ار من شبه المحبوب بالطاووس وانمـا يشبهون الثياب والأثاث ونحوهما به قال ابو العلاء في لزوم ما لا يلزم

في حلل غبر وكم اشبهت ثيابهـا حلة طاووس

وقال فيه

عن الطواويس ما يلبسن مسترق وهن بعد قماريّ الضحى الصدح

وجملة القول ان معظم ابيات هذا الديوان لا يعد من الشعر الرديّ بل من الشعر المتوسط والجيد وفيها مايدل على سعة اطلاع على اللغة وبراعة في تأليف المفردات واحكام وضعها وقدرة على التصرف في فنون القول . ولو سلم من مسخ النسخ لرأينا فيه ضروباً من الروعة والجمال . وسنتم القول فيه في كلمة أخرى ان شاء الله تعالى

سليم الجندي

خزانة كتب آل المغربي في طرابلس الشام

— تمهيد —

امتازت مدينة طرابلس الشام بخزانة الكتب الكبرى التي كان أسسها آل عمار ملوكها — وهم من علمت من الفضل والعلم — فظلت مزدهرة بمئات الألوف من الكتب القيمة التي تأنقوا في جمعها لها . وادخارها بها . حتى بلغت مبلغاً قدروه بثلاثة ملايين كتاب — ظلت هذه الخزانة التي اسموها دار الحكمة — مرجع العلماء ومقصد الأدباء حتى أواخر القرن الخامس للهجرة حيث دالت دولة هؤلاء الملوك او القضاة كما كانوا يسمونهم فحرقها الصليبيون في سنة ٥٠٣ ه ١١٠٩ م وقضوا على مافيها من التحف والنوادر .

ويكفيك ان تعرف ان عدد النساخ في هذه الخزانة الغنية كان وصل الى مائة وثمانين ناسخاً يشتغلون بالجراية والجامكية . وان ابا العلاء المعري فيلسوف العرب بلا منازع ولا مدافع كان قصد اليها وأقام فيها واستفاد منها الفوائد التي ظهرت في تواليف شيخ المعرة الحكيم .

وكأنّ تأسيس هذه الخزانة حبب الى نفوس الطرابلسيين اقتناء نفائس الكتب فصاروا يتسابقون الى جمعها حتى أوائل القرن الثاني عشر حين قدم الشيخ عبدالغني النابلسي الى طرابلس سنة ١١١٢ ه ١٧٠٠ م وساجل علماءها في نفائس الكتب ونوادر مسائل العلم التي كانت تحتوي عليها خزائنهم الخاصة

ومن بين هذه الخزائن (خزانة آل المغربي) من بيوتات العلم المعروفة بطرابلس الشام والذي لا يزال بعض اعلامها ينسج على منوال آبائه وأجداده ويضرب على قالبهم . ومن بين هؤلاء الأعلام صديقنا الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس مجمعنا العلمي العربي بدمشق مدّ الله في حياته ونفع به . والخزانة محفوظة لديه بدمشق . وقد صنف في وصفها كتاباً اعتمدنا عليه في كتابة هذا المقال

محتويات الخزانة

تحوي هذه الخزانة اليوم نحو الف وثلاثمائة كتاب بينها ثلاثمائة مخطوط وهي مما ورثه الأسلاف لأخلافهم ولقد كان هؤلاء الاسلاف لا يضنون على أحد بالاطلاع على كتبهم او مطالعتها والنقل عنها في خزانتهم فكانت أقرب الى دار كتب عامة منها الى خزانة كتب خاصة .

وتأتي الكتب الدينية في الدرجة الأولى من كتب الخزانة لأن المعروف عن المسلمين الأقدمين انهم يحفلون بأمور دينهم اكثر من احتفائهم بأمور دنياهم وصفة العلم عندهم لا تطلق على المؤرخ او الجغرافي او الرياضي بمقدار ما تطلق على المفسر والقارئ والمحدث والفقيه الا اذا جمع الى هذه العلوم الدينية بعض تلك العلوم الدنيوية .

ولذلك فاننا سنتولى وصف بعض المخطوطات التي يظن انها لم تمثل بالطبع بعد إما لكبر حجمها او لندرة وجودها . وسنختار هذا البعض من تلك الكتب المختارة مع مراعاة الاختصار فنقول وبالله العون :

– الكتب الدينية وأشباهها –

(١) تفسير الخطيب الشربيني في خمس مجلدات : الثلاثة الأولى بخط المرحوم الشيخ عبد القادر ابي الهدى المغربي قاضي طرابلس الشام وجد والد الشيخ عبد القادر الحالي وقد توفي ابو الهدى سنة ١٢٤٨ ﻫ ١٨٣٢ م وهو من العلماء الافذاذ في هذه الأسرة الكريمة وقد كتب المجلدات المذكورة سنة ١٢٣٦ ﻫ ١٨٢٠ م . واتم الجزأين الأخيرين المرحوم محمد بن حسن بن ديب الطقطقي المشهور باسم ديب النساخ لانقطاعه الى نسخ الكتب في طرابلس وقد أتمها سنة ١٢٥٥ ﻫ ١٨٣٩ م

(٢) فتاوى الشيخ محمد الحانوتي المصري : وقال عنها المحبي انها مرغوبة ويعتمدها الفقهاء

(٣) خلاصة الفتاوى : ناسخها عبد الرحمن بن احمد معدان المناوي الأزهري الشافعي سنة ٩٦٥ ﻫ ١٠٥٧ م وكانت لعلي افندي المرادي مفتي الشام المتوفى سنة ١١٨٤ ﻫ ١٧٧٠ م

(٤) نقد المسائل في جواب السائل : من فتاوى السادة الحنفية مجلد ضخم في الف

وخمسمائة صفحة لمؤلفه علي المعروف برضائي المتوفى سنة ١٠٣٩ هـ ١٦٢٩ م جمع فيه فتاوى نفر من المفتين

(٥) سكب الأنهر على فرائض ملتقى الأبحر : تأليف علاء الدين علي بن ناصر الدين الطرابلسي الدمشقي الحنفي الامام بالجامع الاموي أتم تأليفه سنة ٩٩٠ هـ ١٥٨٢ م ولعلها بخط يده ·

(٦) جزء من كتاب في علم اصول الفقه : اوله باب الاجماع عليه هوامش وتقييدات غاية في الضبط ووضوح الخط كتب سنة ٧٢٧ هـ ١٣٣٦ م

(٧) الجواهر والدرر : للشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٥ م ·وليست هي الكتاب المطبوع بهذا الاسم وانما هي مجموعة ثانية جمعها من كلام اكابر أهل الطريق من اهل عصره وغيرهم كالجيلي والشبلي وابن عربي والرفاعي والدسوقي وشيخه علي الخواص وأمثالهم · جيدة الورق والتجليد والصفحة الأولى مكتوبة بالذهب واللازورد وعلى ظهرها طابع الخزائن الملوكية ·

(٨) عقود الجمان في مناقب ابي حنيفة النعمان : تأليف ابي عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي نزيل الخانقاه البرقوقية بصحراء القاهرة فرغ من تأليفه سنة ٩٣٩ هـ ١٥٣٢ م

— الكتب الادبية وما يتصل بها —

(٩) ديوان الحيوان للسيوطي : في مجلد ضخم وهو ملخص كتاب حياة الحيوان للدميري وبخط ابن رضوان المصري نسخه سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م ومعه رسالتان للمؤلف اسم الأولى (عنوان الديوان في اسماء الحيوان) اختصر فيها ديوان الحيوان المذكور واسم الثانية «ذيل الحيوان» وقد ضمنها اسماء الحيوان التي زادها في كتابه ديوان الحيوان على مافي كتاب الدميري ·

(١٠) الزاهر : كتاب اخلاق وأدب نفس وهو مجلد يقع في ٣٠٠ صفحة وجملة أبوابه سبعون باباً تأليف علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي من رجال القرن الثامن وقد نسخه عبد الحي بن احمد بن العماد الحنبلي مؤلف شذرات الذهب في أخبار من ذهب

(١١) شرح الشيخ علوان على تائية ابن حبيب الصفدي المتوفى سنة ٩١٥ هـ ١٥٠٩ م كتب هذا الشرح سنة ١١١٦ هـ ١٧٠٤ م

(١٢) رسائل حمزة : في العقائد الدرزية وهي قديمة العهد تداولتها أيد كثيرة ويوجد منها نسخ في اماكن أخرى لكنها تختلف عن هذه في اسماء الرسائل وترتيبها وهي ٢٦ رسالة

(١٣) التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية: وهي رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الى طرابلس الشام في سنة ١١١٢ هـ ١٧٠٠ م وهي لم تمثل بالطبع بعد كرحلاته الى بعلبك ولبنان والى بيت المقدس والى الحجاز وان كان لخص الاخيرة بعضهم وطبعها بصفحات معدودة ٠

(١٤) مجموعة السيد على الكيلاني : غاية في الامتاع والمؤانسة والافادة وهي تصور الحالة العقلية السورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وأخلاق رجالها ٠

(١٥) اللؤلؤ الرطب على قصيدة كعب : تأليف الشيخ محمد النصري الطرابلسي المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة وأواخر القرن الثامن عشر للميلاد فقد عمد المؤلف الى قصيدة سيدنا كعب بن زهير الصحابي الشهيرة باسم مطلعها (بانت سعاد) فشطرها ثم شرح الأصل والتشطير في مجلدين ضخمين كتبها بخطه الحسن الجميل سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م وفي كل مجلد ما يزيد على الف صفحة ولم يغادر المؤلف مسألة من العلوم التي اشتغل بها المسلمون نقلية كانت ام عقلية وكانت لها مناسبة في ما هو بصدده من شرح أبيات القصيدة وتشطيرها إلا أتى على ذكرها وربما نقل رسالة للمتقدمين برمتها وأودعها كتابه ٠ وتسويد هذا الكتاب في دار الكتب المصرية

(١٦) مقصورة حازم بن محمد الانصاري الاندلسي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م أولها : (لله ما قد هجت يايوم النوى على فؤادي من تباريح الجوى) منسوخة بخط الشيخ عبد الباقي الحسني الجزائري المعروف بدمشق الشام

(١٧) ضياء البدر في أسماء أهل بدر : لمحمد بن الشيخ حسن الطرابلسي النصري صاحب كتاب اللؤلؤ الرطب المار ذكره أتم تأليفه سنة ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م وقد ضمنه

أسماء أهل بدر وتراجمهم . ومع الكتاب قصيدة من نظم المؤلف نفسه ذكر فيها اسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم وأولها :

(الحمــد لله مبيد الكفر   مؤيد الاسلام يوم بدر)

(١٨) كتاب في أهل بدر وتحقيق عددهم وضبط اسمائهم لأحمد المنيني المشهور باسم الشهاب المتوفى سنة ١١٦٧ هـ ١٧٥٣ م

(١٩) (سَقط العقيان والحلى . لعروس ديوان ابي العلا) . أو (ضوء الفند من سقط الزند) : للشيخ محمد الدرّا الدمشقي فرغ من تعليقه في مدينة جدة سنة ١٠٦٤ هـ ١٦٥٣ م ولم يبيض منه الا اربعة كراريس وجاء دمشق فتوفي بها سنة ١٠٦٥ هـ ١٦٥٤ م فأكمله بياضاً ابن أخته عبد الحق الدرّا سنة ١٠٩٥ هـ ١٦٨٣ م ويظن ان هذه النسخة هي الوحيدة لأنها بحكم (؟) نسخة المؤلف . وهذا الشرح لسقط الزند أوفى وأشفى من شرح الخطيب التبريزي له

(٢٠) العرف الندي في شرح قصيدة ابن الوردي : لعبد الوهاب بن محمد الخطيب العمري الأزهري من علماء أوائل القرن الحادي عشر للهجرة فرغ من تأليفه سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢١ م

(٢١) تحفة الظرفا في تواريخ الملوك والخلفا : ارجوزة من نظم الشيخ محمد بن احمد الباعوني وصل بها الى زمن الخليفة المستعين بالله ويتلوها الذيل عليها من نظم محمــد الجاعوني القدمي كتبها نور الدين بن محمد الجاعوني القدمي سنة ١٠٥٣ هـ ١٦٤٣ م في القسطنطينية . وباعون قرية بقضاء عجلون من شرق الاردن . كما ان أسرة الجاعوني لا تزال معروفة ببيت المقدس

(٢٢) اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور : لنور الدين القرافي كتبت سنة ١٠٢٧ هـ ١٦١٧ م بخط جيد اكثره اسود وبعضه احمر

(٢٣) شرح ديوان الخنساء : أخت صخر لشارح مجهول نسخه محمد الرسامي سنة ١١٤٥ هـ ١٧٣٢ م عن نسخة مصححة تتصل روايتها بثعلب بخطه . وكتب الشرح برسم السيد عمر بن ياسين الكيلاني الحموي .

(٢٤) التنقيب على مافي المقامات من الغريب : لمحمد بن ظفر المكي وهو شرح على مقامات الحريري المشهورة : يبدأ في المقامة العشرين وينتهي الى آخر المقامة الخمسين . ويظهر ان الجزء الأول قد فقد . فاذا عرفنا ان الحريري توفي سنة ٥١٦ هـ ١١٢٢ م وان الشارح ابن ظفر المكي توفي سنة ٥٦٥ هـ ١١٦٩ م وان ناسخ الكتاب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكركيط توفي سنة ٥٨٧ هـ ١١٩١ م — أدركنا قيمة هذه المخطوطة التي ألفت وشرحت وكتبت في قرن واحد وازمان متقاربة .

— الرسائل والمجاميع في الخزانة —

وفي الرسائل والمجاميع الموجودة بالخزانة رسائل نادرة وبحوث قيمة نقتصر منها على ما يأتي :

(٢٥) تائية في التصوف : لعامر بن عامر البصري (؟؟) عدد أبياتها (٥٠٥) أشير في آخرها انه نظمها بسيواس سنة ٧٣١ هـ ١٣٣٠ م وكتبها احمد بن يوسف بن سليمان سنة ٧٨٢ هـ ١٣٨٠ م وأول هذه التائية التي نظمت على غرار تائيات المتصوفين كابن الفارض وابن عربي واضرابهما هو قوله

(تجلى لي المحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنىً وصورة)

(٢٦) فرقد الغرباء وسراج الأدباء : لجمال الدين الحسن الشهير بالحانيني المتوفى سنة ١٠٣٥ هـ ١٦٢٥ م وهي مقامة على طراز مقامات الحريري لكنها أطول وأجمع للنكت العلمية والادبية كتبها علي بن احمد الاكرم بالقدس ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩ م

(٢٧) ديوان امام الحفاظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م وناسخه شيخ أدباء الشام في عصره ابو بكر العمري المتوفى سنة ١٠٤٨ هـ ١٦٣٨ م عن خط ابن حجر نفسه وهذا الديوان هو المنتخب من الديوان الكبير ويسمى هذا المنتخب بمنظوم الدرر . وقال الناسخ انه كتبه برسم نعمة الله افندي امام الوزير (خناق مصطفى باشا بكلر بكي دمشق الشام) سنة ١٠٣٣ هـ ١٦٢٣ م

(٢٨) شرح قصيدة بانت سعاد : لابراهيم بن حيدر الصفوي الكردي الحسين آبادي وكان حياً سنة ١١١١ هـ ١٦٩٩ م

(٢٩) ميزان النظم في علم العروض : للصاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م

(٣٠) ارجوزة في ازمنة السنة : للحسن بن وكيع التنيسي

(٣١) رسالتان : في جلد واحد موضوعها المفاضلة بين حماة وحمص من مدن الشام : الأولى للشيخ عبد القادر الرافعي الطرابلسي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وهو يفضل حماة على حمص · والثانية للشيخ امين الجندي الحمصي المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ ١٨٤١ م وهي اجمع للطرائف والملح المتعلقة بالمدينتين · ومع كون الجندي حمصياً فانه حكم بتفضيل حماة أيضاً · والرسالتان برسم آل الكيلاني ومدحهم

(٣٢) رسالة في تفضيل دمشق على عواصم الشام الاخرى للشيخ مصطفى بن احمد المغربي والد صديقنا الشيخ عبد القادر المغربي كتبها سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م عندما ولي المشير أسعد مخلص باشاولاية سورية وهي بخط المؤلف

(٣٣) رسالة في علو السند اي في بيان الإسناد العالي في رأس السبعمائة للهجرة لابن تيمية

(٣٤) رسالة للصغاني في تمييز موضوعات القضاعي في كتابه في علم الحديث المسمى بـ (الشهاب) والذي اصلحه الصغاني وسماه كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب ·

وغير ذلك من الرسائل والمجاميع القيمة التي تدل على مبلغ عناية آل المغربي بالعلوم والفنون على اختلافها حتى جمعوا لها هذا العدد العديد من المخطوطات والمطبوعات التي يصح الركون اليها والاستفادة منها · رحم الله الاسلاف منهم ومد في حياة الأخلاف ليسيروا سيرة آبائهم وأجدادهم والله ولي التوفيق

القدس : عبد الله مخلص

(المجمع) وقد اطلع الاستاذ أحمد عبيد صاحب المكتبة العربية على مخطوطات الخزانة المذكورة فزاد على ما مرّ في المقال السابق المخطوطات التالية :

(٣٥) [ذيل النفحة ونيل المنحة] لمحمد ابن السمان أوله : [رب اوزعني ان أشكر نعمتك] ضمنه ترجمة ثلاثين أديباً عشرون منهم من دمشق . والمخطوط حسن الخط ويظهر انه كتب في زمن المؤلف لأن في آخره تقريظاً للشيخ عبد الغني النابلسي وتقريظاً آخر للشيخ أحمد الحياري أحد المترجمين في ذيل النفحة

(٣٦) [ديوان الشاعر ماماي] ويلفظونه أيضاً [مامايه] وهو من أصل انكشاري نشأ في دمشق جندياً واسمه محمد بن احمد ومات بدمشق سنة ٩٨٥ هـ وترجمته في شذرات الذهب . وقد اختلف الباحثون المتأخرون في أمره حتى نقلوا عن الاب شيخو أن ماماي هذا اسم لغير مسمى وان ديوانه غير موجود مع ان منه نسخاً في مكاتب مصر والاستانة

(٣٧) [بديعية البلاطنسي] صفحاتها [٤٥٠] واسم صاحبها علي بن محمد البلاطنسي الدمشقي ترجمه السخاوي في الضوء اللامع [جزء ٦ صفحة ٣١] وربما كانت هذه المخطوطة هي النسخة التي كتبها المؤلف نفسه

(٣٨) [مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع] لمؤلفه عبد المؤمن ابن عبد الحق

(٣٩) [مقصورة ابن دريد] مخطوطة قديمة الورق والخط عليها حواشي وتقييدات كثيرة من شرح ابن خالويه اللغوي وقد كتب على ظهر المخطوطة انها ملك [محمد بن عبد الحق] ومحمد هذا هو من علماء آل المغربي في طرابلس الشام ترجمه المرادي مع أخيه عبد اللطيف وقال انه كان يلقب بقارئ الدرر لمهارته في أبحاثها وتوفي سنة ١١٤٠هـ

(٤٠) [الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية] مؤلف الكتاب ضياء الدين ابن الأثير صاحب المثل السائر انتقد فيه كتاب المآخذ الكندية لابن الدهان المتوفى سنة ٥٠٩ هـ وموضوع كتاب ابن الدهان يدور حول مآخذ او سرقات المتنبي [وهو كندي كما لا يخفى] من أبي تمام الطائي . وقد ذكر صاحب كشف الظنون هذا الكتاب باسم [الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية] وفي خزانة المرحوم احمد تيمور باشا نسخة من [الاستدراك] لكن مخطوطة الخزانة المغربية فيها خرم كبير .

الشباب في عهد الرسول ﷺ

على رأس الأربعين ذروة الشباب ، حين تستحصد المرء وتكتمل المواهب وتنضج القوى ، برز محمد صلوات الله عليه رسولاً الى العالمين بالهدى ودين الحق ، بعد ان اندمج في هذه المدرسة التي تصنع الرجال وتخرج العباقرة الافذاذ المدرسة الاجتماعية الكبرى مدرسة الحياة . فلقد دخل هـذا الغمار العام المزدحم بأرهف استعداد هو استعداد النبوة لتتحنك فيه بشريته على النحو الذي استنه الله للبشر في هذا الكون ، ليلقى الناس بعد برسالته على نواميس من طبائعهم وغرائزهم وأحاسيسهم ،وما جعل الله رسوله بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق الا لينفذ في ذلك ارادته في ابتعاث الانسان الكامل الذي يكون مثلاً واقعياً أعلى للانسانية في أشرف منازعها وأخلص سرائرها وأسمى ميولها في اعدل الحدود الممكنة لمخلوق سوّاه الله من لحم ودم وميزه بالعقل والقلب ، ولو شاء الله لجعل رسوله ملكاً ، وعطل من اسبابه التي أحكم بها نظامه وأتقن صنعه ولكنه بعثه رسولاً من انفسنا ، لبث عمره يعاني فيه من ضروب العيش ما نعاني ليكون بمكان من الحنكة الاجتماعية يجتبيه الله بها ويصطفيه ، اذ ان الاصطفاء ان يختاره الله قادراً على سياسة التبليغ وبث الدعوة من دون الناس جميعاً ، ولا يكون ذلك الا بسبب من معالجة أمور الناس والتقلب في أعطاف الزمن ، وهكذا كانت حياة النبي (ص) الى ان نزلت عليه الرسالة ، فقد ضحي الى هذا الوجود كما يضحّي العصامي فاقداً اول من يجب أن يراه بعد أمه ، وهو ابوه ، ليتلقى الحياة مباشراً وبغير ما واسطة ، وليطمس من نفسه اول ما يطمس غريزة التواكل ، ويكتنز اول ما يكتنز فضيلة الثقة بالنفس والاعتماد على الخالق وحده ، وانسأ الله له في أجل أمه ريثما تتم له حضانة طبيعية ما منها بد ، ولكن الله استلها من حوله بعد ان أدت مهمتها واردفها بجده بعد أن كفل به سنتين ، فبقي وحيداً يرعاه ربه وهو في السنة الثامنة لا يلفى من يصله من رحمه الا عمه أبا طالب ، وهنا قذفه الله في حياة شعبية عادية ساذجة فاصطنعه راعياً للغنم يعلمه بذلك قيادة أولية على قدر ما يمكن

ان يحتمله العقد الاول من العمر ، ويعرّفه حالاً يحسها بنفسه ويجد مسها بقلبه ، حالاً لا يهبط اليها بالعادة العظماء ، ولكنها حال ما أجدرها بالرجل ينشأ عظيماً ، ثم زجه في الاثنتي عشرة من عمره في أتون مستعر يتجلى فيه الشر يبدي ناجذيه، وهو الحرب حرب الفجار التي شهدها مع عمومته يجمع لهم فيها السهام، ويشرف على الكر والفر ، يصلّب بذلك عوده ، ويعرف وجهاً من حماقة الانسان حين يَصلى الحرب جذعة على تافه لا يؤبه له وحضر بعدها حلف الفضول الذي يحدثنا عنه بعد الرسالة بقوله : لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جُدعان ما أحب أن لي به حمرَ النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت . وما ناهز العشرين واستقام له الأمر الا وخب مع قومه يعاملهم ويعاملونه، ويتعرف أخلاقهم ويتعرفون خلقه عن طريق الاتجار والضرب في الارض يبتغي من فضل الله ، وهل أحسن منهما فتنةً له ولقومه تسفر عن خبيئة كليهما ? فقد ظفر هو بالكثير مما هم فيه خير اوشر ، وظفروا هم أيضاً بما قدروا عليه حتى توجوه بلقب الأمين ، بما وقعوا عليه من كمال معاملته عليه السلام ، ثم دخل بعد ذلك الحياة المركبة حين تزوج بخديجة بعد أن استأجرته للاتجار بمالها . ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره امتحن الله بصيرته وعقله وأهليته وأهبته في أخطر أمر واحرجه ، ذلك حين احتكم اليه العرب فيما ينذر بداهية دهماء من تنازع بطون قريش وغيرها على وضع الحجر الاسود لولا أن تدار كها عليه السلام بحصافة عقل وحكمة رأي حقن بها دماءهم ، وأسكت حفائظهم وهدأ من نعرتهم ، فرأوا فيه بعد الأمانة الرجل المسدّد الرشيد والأريب اللبيب ، وما أتى عليه من عمره أربعون حتى كان اعظم الرجال بُصراً ومرونة وحُنكة ، قد عجم قومه وعجم زمنه ، وعرف من أسرارهما ما يجعله أهلاً لأن يختاره الله رسولاً يبلغ آيات ربه وينشر دعوته .

وهذه النهضة الاسلامية الكبرى التي رجت الارض رجاً، ومدت رواقها على الشرق والغرب وامتدت أربعة عشر قرناً ، ويحصي افرادهـا اربعمائة مليون ، وتتحكم كثيراً في مقدرات التاريخ العام ، وتمد الحضارة العالمية بقسم كبير ، وينبغ فيها علماء

وفلاسفة ومكتشفون وحكماء ، وينبغ فيها أيضاً أمراء ووزراء وقادة وسياسيون ،
هذه النهضة كلها مدينة بالقسط الكبير الى شخصية النبي في سياسة التبليغ التي
وكل الله أمرها اليه ، ومرغمة على الاعتراف بأنه أعظم مرب للافراد والشعوب منذ
خلق الله الخلق ، وما ابتعثه الله الا وتعهد فيه رجولة جبارة تخترق بدهائها كل صعب
وتتخطى كل عقبة في سبيل ما أرسلت من أجله ، ولن نستطيع أن نستوفي بمحاضرة
القول في هذه الرجولة العظيمة فلنجتزي بالقول عما نحن بسبيل منه

من تربيته عليه السلام

لبث رسل الاصلاح وعلماء التربية وفلاسفة الاخلاق نحواً من ثلاثين قرناً ينفقون
جهدهم ويبذلون قرائحهم في اكتناه أسرار الانسان ، والبحث عن غرائزه وأطواره
والتنقيب عن عواطفه وميوله ، والسبر لتفكيره وذكائه ومدى نشوء ذلك كله في
الافراد والجماعات يتقرؤون بذلك كل دقيقة وجليلة ، يتقصون المستسر والمبهم ويتفحصون
الامور على وجوهها ، حتى انتهوا الى ان نقضوا هذا الهيكل الانساني فنثروه ذرات
كالجوهر الفرد ، وقتلوه بالبحث والتنظير وهم ما زالوا يعنون بهذا النوع من التشريح
ويركبون اليه كل صعب ، ليقوموا من اوده او ليبعثوه من جديد في مدينة فاضلة
تعفو فيها الآثام والشرور وتنشر فيها السعادة ، كل ذلك والانسان هو الانسان ،
وما ندري بعد هذه الاحقاب ، هل يأتي ذلك الحين الذي ينزل فيه هؤلاء العلماء من
أبراجهم فيجمعوا الانسان بعد ان نثروه ويحيوه بعد أن قتلوه ؟

ولكن الامر الذي يثير الدهشة ويدعو الى العجب والاعجاب ، ان يكون المستأثر
بالتربية النفسية العملية من دون الناس جميعاً من اغريق ويونان ورومان وفرس
وعرب فلاسفتهم وحكمائهم علمائهم ورهبانهم قضاتهم ومشترعيهم النبي العربي الأمي محمد
رسول الله ، وما نقول ذلك لأنا مسلمون بل لأن الواقع يؤكد ذلك والاثر البليغ
دليله فلقد ربى عليه السلام جيلين ، فمن الطفولة الى الشباب ومن الشباب الى الشيخوخة ،
وأبدى في تربيته هذه قدرة خارقة ، مكنته ان يتناول بيسر ما أعجز الجهابذة من
الحكماء ، فقد ساير الطبيعة الانسانية مسايرة محكمة دقيقة في جميع أطوارها وأتى

السبل للغرائز لتجري مطلقة على قدر النمو ، من غير شطط يؤذيها وينال منها ، مزاوجاً فيها بين الميول والاحاسيس ، ومراعياً فيها أيضاً نظام الطبائع ، يستثمر ذلك كله لتزكية النفوس وتقويتها واصلاحها ، عن طريق سائغة لا تصادم الأمزجة ولا تعاكس الفطر ، فاذا انتهى الطفل مثلاً الى السن التي يجدون فيها أنفسهم مرتاحة لنوع من اللعب لم يكبت رغبتهم فينكمشوا على أنفسهم ، ويقلص مرحهم ونشاطهم ويذوي بذلك روحهم ، لم يمنعهم من اللعب ، بل كان يغريهم به ويشجعهم عليه ويظهر لهم رغبته بذلك وحبه وحنوه ، فعن عبد الله بن الحارث قال كان رسول الله (ص) يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس ويقول من سبق الي فله كذا ، فيستبقون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم ، وعن علي ان النبي (ص) كان قاعداً في موضع الجنائز فطلع الحسن والحسين فاعتركا ، فقال رسول الله وعلي جالس ويهاً حسين خذ حسناً ، فقلت تؤلب على حسن وهو اكبرهما يا رسول الله ؟ فقال رسول الله هذا جبريل قائم وهو يقول ويهاً حسناً خذ حسيناً . وما كان يمنعه التزمت ان يشاركهم بالمداعبة والمجاملة ، فكثيراً ما استخفهم الى اللعب كما يصنع الترب مع الترب فيثب الحسن والحسين على ظهره الشريف فيمسكهما بيده حتى يرفع صلبه ويقوما على الأرض ، فاذا فرغ اجلسهما في حجره كما روى ذلك ابو هريرة . وعن جابر قال دخلت على النبي (ص) وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما . ولقد كان هذا دأبه في الصغار الذين تكثر رؤيته لهم وهم بين ظهرانيه ، وما كان يفرق بين أقرب الناس اليه وأبعدهم منه ، ولا بين اولاد القرشيين الهاشميين والموالي المملوكين ، حتى اذا حاق بأحدهم مكروه بادره فرفعه عنه وطيب بذلك نفسه وازال الغشاوة عن قلبه وأحسن مداعبته ، قالت عائشة : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه ، فقال لي رسول الله اميطي عنه الأذى فتقذرته ، فجعل رسول الله يمص الدم ويمجه عن وجهه ويقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته . وقال عطاء بن يسار : كان أسامة بن زيد قد أصابه الجدري أول ما قدم المدينة وهو غلام ، مخاطه يسيل على فيه فتقذرته عائشة ، فدخل رسول الله فطفق يغسل وجهه ويقبله ، فقالت

عائشة : اما والله بعد هذا فلا اقصيه أبداً ، وهكذا كان يشملهم بعنايته ويضمهم الى صدره ويبسط لهم بشره وعطفه ، وينشر عليهم جناح رحمته ، قال أسامة بن زيد: كان النبي (ص) يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما . ما كان النبي ليهمل شيئاً مما ينبغي لتكميل مواهب الصغير وتقوية عواطفه وتطهير دخيلته حتى القبلة يرسمها على وجهه ، بل ربما أمر بها ونال ممن ترفع عن مباشرتها ، ففي البخاري عن أبي هريرة ، قال قبل رسول الله الحسن ابن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر اليه رسول الله (ص) ثم قال من لا يرحم لا يرحم . وعن عائشة (رض) قالت : جاء اعرابي الى النبي (ص) فقال : اتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ، فقال النبي (ص) : أو أملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة . يفعل كل ذلك رسول الله ليعد الصغير اتم اعداد فيقدم على التمييز وقد شحذت مشاعره ، وارهفت حواسه وتفتح وعيه ، ونضجت طفولته ، لم يفتقد الحنان فتضطرب عواطفه ، ولم ينهنه عما يريد من المحمود بالطبع فيكبت شعوره وتحطم معنويته ، ولم ينبذ ويحتقر فيحنق ويحقد ويكيد ، وانما يبرز قوياً غير ضعيف ، نقياً طاهراً غير موبوء ، قد اخذت طبيعته حظها من نفسه ، واستكملت عملها فيه . وما من ريب ان هذا اللون من التربية هو العنصر الفعال لايجاد العبقرية والنجاز الألمعية ، وهي العلاج الوحيد لتزكية العقل الضعيف وفتح النفس المغلقة ، وبسط الشعور المنقبض ، وهي من اكبر الذرائع لبث الطموح وغرز روح الاقدام والثبات عند المفظع من الأمر .

هذه صورة مصغرة لتربيته عليه السلام لمن هو دون السابعة او الثامنة من العمر ، فاذا جاوز الغلام هذه السن الى التمييز ، فهناك شكل آخر من أشكال التربية ، يسير معهم فيه على غرار قاعدة في التربية تقول : عامل ولدك معاملة الرجال لا يلبث ان يصبح رجلاً ، فقد كان عليه السلام يفسح لهم المجال بين الرجال ليثبتوا أشخاصهم ويروضوها على أن تأخذ مكانها الاجتماعي ، ليستطيعوا ان يستقبلوا الحلم مؤتنف الرجولة مكينين قادرين قد شغلوا بحق ما ملأوا من الفراغ ، وقاموا بواجبهم في الحياة أتم قيام ، فدعاهم عليه السلام في هذه السن الى الاسلام ، وكلفهم بالقيام بأمر الدين وعلمهم

آياً من القرآن، وأهداهم أروع نصائحه ووصاهم بأبلغ وصاياه وقبل معاونتهم في الغزوات اذا لم يباشروا القتال الا قليل منهم قد باشروه فعلاً وُعني بتأديبهم وتعليمهم، وقد بايع بعضهم كما بايع عقلاء الرجال، بل ربما عاملهم كما يعامل سَراة الناس و كبارهم فقد اخر الافاضة من عرفه من أجل غلام افطس اسود ينتظره وذلك هو أسامة بن زيد، فقال اهل اليمن انما حبسنا من أجل هذا؟ قال عروة ولذلك كفر أهل اليمن من أجل ذا قال محمد بن سعيد: قلت ليزيد بن هارون ما يعني بقوله كفر أهل اليمن من أجل هذا فقال ردتهم حين ارتدوا في زمن ابي بكر انما كانت لاستخفافهم بأمر النبي (ص) . والحق ان رسول الله كان يري مالا يرون وهذه الحكمة في التربية هي التي جعلت من علي خليفة عالماً عادلاً عبقرياً، وجعلت من ابن مسعود قارئاً عالماً وجعلت من ابن عباس عالماً اكبر وهو لا يزال شاباً وجعلت من أسامة بطل الابطال وكمي النزال وامير الرجال، ومما امتازت به تربيته العملية عليه السلام لمن كان في هذه السن أيضاً حسن التوجيه الذي يوفق فيه بين الاستعداد والرغبة الملائمين لنزعات النفس وخفقات الحس، يعين بذلك لهم أهدافهم ويذكي اليها هممهم ويعبد لهم شطرها طريقهم، ليكونوا بمأمن من عاديات التردد والاضطراب وتشعب الطرق والاغراض لئلا تضيع ملكاتهم ومواهبهم ويخفت توثبهم ويقضى على نشاطهم . كل هذا ولم يبلغ الاطفال الحلم فاذا بلغوا الحلم او السن الخامسة عشرة فهناك الشباب وهناك الرجولة، أوليست الطبيعة قد أعدته لذلك فأمرت عوده وصلبت مغمزه فما عليه بعدها الا ان يشغل بحق مكانه في هذا الحقل ويقوم بعمله المهيأ له، فليس بعد هذه السن منتظر .

تحديده عليه السلام اول سن الشباب :

كان من آثار تلك الشعلة التي أضاءت ربوع مكة وبطاحها، وتلك الفورة التي غزت القلوب والعقول، وتلك التربية الرفيعة التي استهوى فيها الرسول الصغار والكبار كان من آثارها أن دبت الحيوية في نفوس هؤلاء الولدان فجعلوا يستبقون الى العمل وينهدون الى الجهاد، قبل ان يكون لهم من السن ما يسمح لهم بهذه المغامرات

الصعبة ، ولكن رسول الله كان يأخذ بحجزهم عن اقتحام هذه الاهوال التي ما كان يراهم اكفاء لخوضها وتصلية جحيمها قبل بلوغهم الخامسة عشرة من عمرهم ، فرد منهم الكثير لا يراهم بلغوا هذه السن يوم عرض قومه في وقعة أحد منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس وابو سعيد الخدري وسعيد بن خيثمة ، الا فئة قليلة كان لها من قوة الاقدام ما ذلل لها ارادة النبي في اجازتها مع المحاربين فهذا عمير بن أبي وقاص حين أبى عليه النبي ان يخرج في غزوة بدر بكى فأجازه حين رأى منه عزيمة ماضية وصدقاً نادراً وهذا سمرة بن جندب قال لزوج أمه وقد استفزه ان اجاز رسول الله رافع بن خديج في غزوة احد قال : اجاز رسول الله رافع بن خديج وردني وأنا اصرعه؟ فأعلم بذلك رسول الله فقال تصارعا فصرع سمرة رافعاً فأجازه ، كل هذا يدلنا ان النبي (ص) كان يعتبر الخامسة عشرة ابان سن الشباب حتى قال بعضهم ان هذه السن هي الحاجز بين الصغير وسن التكليف ، فاذا انتهى الفتى الى هذه السن فذاك اوان استعداده لأن يضطلع باعباء الرجال ويستقل بمهامهم وينهض بتكاليفهم مندفعاً في هذا الخضم يعمل وينتج بقلب حي ونفس دؤوب وأمل بارق ، ولقد صرف النبي عليه السلام الى الشباب وجهه ووجهته ليكونوا كذلك وقد كانوا حتى جعلهم عمدته في جميع ما يتعلق بدعوته من اعمال كبيرة خطيرة من جهاد وايمان وعلم وقضاء وكان لهم في نفسه من المكانة مارفع من أقدارهم وبوأهم أشرف ما يصبون اليه من الكرامة والسؤدد والجاه العريض .

تشجيعه عليه السلام الشباب وعنايته بهم :

يكون التمايز بالقوة والصحة والتفضيل بين فكرة وفكرة بمقدار ما يكون لاحداهما من القدرة على النفوذ الى عالم الواقع والجري معه كأنها جزء منه لاتحيد ولا تريم ، فان ضؤل نصيبها من ذلك فبقدر ضؤولته يكون الضعف ويكون التقلص فالانحلال فاذا لم يكن لها في عالم الواقع نقير ولا قطمير ، فتلك من الخيال والى الخيال وهي الى طرفة ادبية أشبه منها الى فكرة عملية فالرأي في الشيء ليس دائماً معناه العمل به وانما يكون رأي بلا عمل كما لا يكون عمل بلا رأي ؛ وان كان

الرأي خفياً يعتلج في الوعي الباطن ، فقد يكون هناك مرب عظيم ، عرف الشيء الكثير عن الانسان ، وله فيه مذاهب وآراء واضحاً تلقاءه الاهداف والمثل العليا ، فاذا باشر العمل عى بأمره فأدركه العثـار وكبت به الزناد وقد يتحكم فيه الصلف وتأخذه نشوة العلم وسلطة المعلم فينسى مالا ينبغي ان ينساه ويضل عما يجب ان يهتدي اليه ، ولكن رسول الله زاوج بين الفكرة والعمل مزاوجة تجعل الفكرة الصالحة لاتنفك عن التنفيذ، كالزهرة الطيبة لا تملك ان تكتم اريجها ، او كالفكرة قد اندمجت في العمل كما اندمجت نواميس الوجود في الوجود ، ممداً ذلك كله بعقله الراجح وعاطفته النبيلة، وسامياً عما عساه ان يسم الانسان بالنقص او يهبط به الى درك من الملق الكاذب والفخار الاجوف ، فهو في معاملته الناس وتربيته لهم عمليٌّ دقيق حقاً ، يبذل من نفسه لكل صغير او كبير ما يكفيه ذاتياً لتكميله ورفع مستواه ، وما يكفيه لما يمكن ان ينتفع منه المجموع ، ومن هنا كان عليه السلام يرى للشباب من حقهم الذاتي الذي به يتأهبون لأجل الأعمال واخطرها ، ومن حق المصلحة الاجتماعية العامة فيهم ، ما يجعله يختصهم بعناية منه ، وما يجعله أشد الناس تشجيعاً لهم وعطفاً عليهم . والتشجيع هو العامل الحي الذي به تنزرج النفوس عن عبقرية كمينة تعتلج في القلوب ، وهو ذاك الذي يقتدح الاستعداد ويؤرث التفاعل الحيوي في النفوس المستكينة الضعيفة ، فتنضح القدرة بعد اليأس منها ، وتنيض بالخير بعد ظن الاخفاق ، وما خرج القادة والعلماء والقضاة قد اوفوا على الغاية واشف من الغاية الا عناية الرسول وتشجيعه ، ولولا هذه العناية وهذا التشجيع فقد يمكن ان يكون هناك نبوة ودين ، ولكن المستحيل عادة ان يكون هناك نهضة اسلامية كبرى تتغلغل في ادق ذرات العالم روحاً وعقلاً وضميراً ، ولقد كان لرسول الله في التشجيع أساليب هي آيات الآيات في ابداع التربية على احكم نظام وامتن طريقة ، وهي في ناحيتيها القولية والعملية عملية بليغة الانتاج قوية ثابتة ، وما من عمل ينبغي ان يقوم به أحد الا كان رسول الله يفتح طريقة اليه بالتشجيع ويذكيه بالعناية ، ومن أخص هذه الأعمـال الحرب والعلم والقضاء ، أما تشجيعه عليه السلام الشباب في الحرب ، فقد كان يرى فيهم

من الاعتزاز بالنصر والنشوة في الفوز وثورة العقيدة ما حمله على الاستفادة منها فيما يجعلهم كتلة متماسكة من الجرأة والاقدام في سبيل ما يغلي في قلوبهم من ايمان وما يرتكز في نفوسهم من مبدأ . فقد رفع من شأنهم وبسط من نفوذهم ووطد من دعائمهم ما أتاح لهم ان يخوضوا اكبر المعارك وهم في الرعيل الاول ، لابل ان يفوزوا بالقيادة في كثير من السرايا والغزوات ،قدمين على الجلة من شيوخ الاصحاب ، فقد أعطاهم الرايات في اكثر المشاهد ، أعطى زيد بن ثابت راية بني النجار يوم تبوك وعمره نحو من عشرين سنة بعد ان سلبها من عمارة بن حزم ، وأعطى علياً راية بدر وهو بين احدى وعشرين وثنتين وعشرين سنة ، حتى اذا كانت غزوة خيبر قال رسول الله في الملأ ، لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال سعد فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها . فقال اين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا يا رسول الله يشتكي عينه ، قال فارسلوا اليه وفي رواية بعث رسول الله (ص) ابا بكر برايته الى حصون خيبر يقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله (ص) لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار ، قال سلمة فدعا بعلي وهو ارمد فتفل في عينيه وقال هذه الراية امض بها حتى يفتح الله على يديك ، فأي اريحية تلك التي يهتز لها حين يعلم قبل ان يلج غمار الحرب انه كان بموضع من ثناء النبي وثقته في احراز الفتح والغلبة على العدو من دون المرجبين ممن يسعرون الحروب وهو لا يزال في شرخ العمر ؟! وما كان الرسول ليأبى في سبيل التشجيع ووضع الثقة والكفاءة ان يعطي الراية غلاماً لم تتجاوز سنه العشرين ، بل أقل من ذلك ، فقد أعطى أسامة بن زيد راية السرية التي جهزها لتغير على أُبنى من قضاعة ، تلك السرية التي ضمت اربعين الف مقاتل فيهم سراة الناس والمقدمون فيهم من المهاجرين والانصار مثل ابي بكر وعمر وابي عبيدة ، وقال حين بلغه ان الراية صارت الى خالد بن الوليد البطل الصنديد قال : فهلا الى رجل قتل ابوه يعني أسامة بن زيد ، حتى اذا طعن بأمارته بعض الناس ، نفي واعتلى

المنبر فقال : فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة ، ان طعنتم تأمير أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وايم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها ، وانه كان لمن أحب الناس الي وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم ، وهذه امثلة جد قليلة لا يبلغ الاستقصاء الاحاطة بجميعها ٠

وأما تشجيعه عليه السلام الشباب في العلم ، فقد كان يعلم ان الشباب أقوى على حمله واضمن للانتاج فيه فهم الين عقولاً وأصفى قرائحاً لذلك فتح لهم باب العلم على مصراعيه ويسر لهم اليه السبيل وأباح لهم في تلقفه مالم يكن ليبيحه لغيرهم ، فقد أباح لعبد الله بن عمرو بن العاص ان يكتب عنه ما يسمعه منه بعد ان حظر كتابة الحديث على كل أحد خشية ان يلبسوه بالقرآن او ان يزجوه به ٠ قال عبد الله بن عمرو استأذنت النبي (ص) في كتابة ما سمعت منه ، فأذن لي فكتبته فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة ، وقد أجاب ابو هريرة لما سئل عن أحفظ الاصحاب للحديث فقال انا لولا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب وقد يستجلب شغفهم ويعتصر رغبتهم من طرف خفي حتى في توجيههم الى نوع مخصوص من العلم ، فقد جلب عبد الله بن عباس ووجهه بدعائه له قائلاً اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب ، وقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان كما أراد له الرسول فقيهاً في الدين عالماً بالتأويل حكيماً ، وقد قص عبد الله بن عمرو رؤياه على النبي فقال : رأيت فيما يرى النائم كأن في احدى اصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً وأنا ألعقهما فلما اصبحت ذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال تقرأ الكتابين التوراة والفرقان ، فكان كذلك متقناً للكتابين التوراة والفرقان ومن عظيم تشجيعه الشباب في العلم ان جعل من الشباب كتاب وحيه وكتاب رسائله فقد كان منهم زيد بن ثابت ومعاوية بن ابي سفيان ولقد حض بعضهم على تعلم اللغات الأجنبية التي كان عليه السلام في حاجة ماسة اليها كالسريانية والعبرانية وذلك هو زيد بن ثابت ليقوم بأمانة السفارة فيما بينه وبين يهود ٠ ومن تشجيعه العملي في العلم الأذن للشباب بالفتيا في عهده وفي بلده فمن أولئك علي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وما كان اكثر ما جهر

بمدحهم في العلم تشجيعاً لهم كقوله : اعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وسيأتي بعض ذلك

وأما تشجيعه عليه السلام الشباب في القضاء ، فقد علم عن الشباب الذين ابتعثهم من ذكاء القلب ونفاذ البصيرة وبديهة الحجة ما دفعه ان يجتبيهم لتولية القضاء من دون غيرهم من شيوخ الاصحاب حتى أصبحوا فيما بعد قضاة الدنيا ، فمن علي بن أبي طالب قال بعثني رسول الله (ص) الى اليمن قاضياً فقلت يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء ؟ فقال ان الله يهدي قلبك ويثبت لسانك فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول فانه أحرى ان يتبين لك القضاء قال فما زلت قاضياً وما شككت في قضاء بعد هذا .
وعن معاذ قال لما بعثني رسول الله (ص) الى اليمن قال بم تقضي ان عرض لك قضاء ؟ قال قلت أقضي بما في كتاب الله قال فان لم يكن في كتاب الله قلت أقضي بما قضى به رسول الله قال فان لم يكن فيما قضى به الرسول قال قلت اجتهد رأيي ولا آلو ، قال فضرب صدري وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ، وبعث النبي الى أهل اليمن كتاباً بشأن معاذ قائلاً فيه : اني قد بعثت عليكم من خير أهلي والى علمهم والى دينهم ، قيل ليحيى بن أكثم لما ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة قيل له : كم سن القاضي ؟ قال :مثل عتاب بن أسيد حين ولاه النبي امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا اكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله قاضياً على اليمن .

يتبع

عبد الغني الدقر

مذكرات يومية دونت بدمشق

في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر

انتهى الى دار الكتب الظاهرية حين تأسيسها أوراق وكراريس مشتتة حزمت وحفظت حتى اذا آن وقت تصنيفها ، وفقنا الى اخراج كتب منها ، أهمها فيما نعتقد مذكرات يومية دونت في دمشق وبقي منهـا نحو الاربعمائة ورقة ، تبتدئ بثامن شوال سنة ٨٨٥ وتستمر بسقط قليل [١] الى ثاني جمادى الآخرة سنة ٩٠٨ ، يتلوها ١٩ ورقه [٢] من السنين التي تتابعت بين ٩١٠ و ٩١٤ .

ولقد كان ترتيب اوراق هذه المذكرات امراً شاقاً لأن مدونها اتخذ رموزاً خاصة لتسمية الأعوام [٣] .

على ان لذتنا كانت شديدة ونحن نقرأ فيها حياة مدونها بدقائق تفاصيلهـا وجلي أخبارها وسياق تطورها ونطلع فيها على حوادث دمشق وأهلها من سعي في الرزق وتوافد على معاهد العلم وتنافس في اكتساب المناصب وثورة على الحكام ونعلق منها على صورة عصر يختتم الخلافـة العباسية الثانية ويشهد آخر حكم المماليك . اقترنت تلك اللذة بالسرور كنا نحس به ونحن نستعرض شعور المحرر وحوقلته وتعوذه

(١) لعل هذا الخرم يقتصر على ما يأتي : سنة ٨٨٧ من ٢٦ ربيع الآخر الى ١ جمادى الآخرة ، سنة ٨٨٨ من ١٩ محرم الى ١ ربيع الاول ، سنة ٨٨٩ من ١٤ ربيع الثاني الى ١٤ ذي القعدة ، سنة ٨٩٣ من ٢٥ ذي القعدة الى آخر ذي الحجة ، سنة ٨٩٥ من اولها الى ٢٤ رجب ، سنة ٨٩٧ من ١ جمادى الأولى الى ١٠ رمضان ، سنة ٩٠٠ من ٢٣ ذي الحجة الى آخرها ، سنة ٩٠٣ من ١١ ذي الحجة الى آخرها . سنة ٩٠٨ من ٢ جمادى الآخرة الى آخرها . ابعاد الاوراق ١٩—١٤ سم وعدد الاسطر في الصفحة حوالي ٣٥ سطراً

(٢) أبعادها ١٤ - ٩ سم وعدة اسطرها في الصفحة نحو ٢٨ سطراً

(٣) والطريقة التي اتبعناها لحل هذه الرموز ان نستعين بما قد يرد عفواً من ذكر لأوائل الشهور الميلادية فنستخرج منها بالحساب أوائل السنة الهجرية المومأ اليها ثم نعارض ذلك بجداول مطابقات السنين الهجرية للميلادية فنجد بالضبط السنة المنوه بها

وتحميده في حوادث يعلق عليها ، وأمور يبدي رأيه فيها دون خوف من سلطان، او تردد في القول ، او تعبير من الرأي ، فكأنه كان يكتب لنفسه ، ويسود مايجري له وما ينتهي اليه ، وذلك بخط سريع ، دقيق على الغالب ، متشابك الحروف ، مهمل ، صعب القراءة

بحثنا عن مدون هذه المذكرات ، فرأيناه يختفي وراء حجاب تاء الفاعل ، الا في احوال يطلق فيها على نفسه اسم « كاتبه » او مرادف ذلك ، فبحثنا عن اقرانه وذويه فوجدناه يتتبع حوادث استاذه فأحيا ذلك أملنا وأيقظ همتنا ، حتى اذا رأيناه لا يسميه الا بـ « مولانا الشيخ » عدنا الى الاضطراب والشك الى أن الفيناه يكثر من ذكر دروس مولانا الشيخ في المدرسة الشامية البرانية ، فعمدنا الى كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس في احوال دور القرآن والحديث والمدارس للنعيمي فوجدناه [1] يهدينا الى مولانا الشيخ ، واذا به شيخ الاسلام تقي الدين ابو بكر بن عبد الله بن قاضي عجلون (٨٤١ — ٩٢٨) كان مدرساً في الشامية البرانية منذ سنة ٨٧٨ ، ووجدنا دلائل في المذكرات تؤيد هذه النتيجة [2] ، فرحنا نبحث عن تلاميذ هذا الشيخ الكبير فوجدنا الغزي يعدد بعضهم في الكواكب السائرة [3] فتتبعنا تراجمهم فوجدناها لا تتفق ونسبة هذه المذكرات الى احدهم .

---

(١) و : ٥٢ا من صورة فوتوغرافية أخذت عن نسخة مونيخ رقم ٣٨٧

(٢) كنسبة كتاب الزوائد الى الشيخ وقد ذكر في ترجمة ابن قاضي عجلون انه الف كتابا سماه أعلام النبيه مما زاد على المنهاج من الحادي والبهجة والتنبيه : شذرات الذهب ١٠٧/٨

(٣) وهم شمس الدين الكفرسوسي ترجمته في الكواكب للغزي نسخة الظاهرية ١٢ والشذرات ٨-١٨٨ وتقي الدين البلاطنسي ترجمته في الكواكب ٨٧ والشذرات ٨ ـ ٢١٣ وكمال الدين بن حمزة ترجمته في الكواكب ٩ والشذرات ٨ ـ ١٩٤ ورضي الدين الغزي ترجمته في الكواكب ٧٠ والشذرات ٨ ـ ٢٠٩ وبدر الدين الغزي ترجمته في الكواكب ١٢٣ والشذرات ٨ ـ ٤٠٣ وبهاء الدين الفصي ترجمته في الكواكب ٧٢ والشذرات ٨ـ٢٤٥ وتقي الدين القاري ترجمته في الكواكب ٨٧ والشذرات ٨ ـ ٢٦٠ وعلاء الدين القيمري ترجمته في الكواكب ١٦٥ والشذرات ٨ـ ٢٧٨ وشرف الدين يونس العيثاوي ترجمته في الكواكب ١٠٧ وابو الفضل المقدسي ترجمته في الشذرات ٨ ـ ٢٠٣

ثم عدنا الى المذكرات لجمع شيء عن المدون فوجدنا بين صفاته وترجمته [١] انه كان يسكن خارج سور دمشق قرب جامع منجك خارج باب الجابية ، وان له اتصالاً بالقضاة يخرج كثيراً الى استيفاء اعمال وحاجات لهم ، وأنه فقيه شافعي ، وتزودنا بذلك وطفقنا نستدرج كتب تراجم ذلك العصر ، علنا نعثر على من عساه بحياته وصفاته وتصانيفه أن يكون مدون المذكرات ، فاذا بنا نجد في ترجمة محيي الدين عبد القادر بن محمد الشافعي النعيمي (٨٤٥ — ٩٢٧) ، مؤلف الدارس في اخبار المدارس ما يؤذن بتوفقنا ، فان هذا الشيخ ولد بسويقة ميدان الحصى جوار الجامع المنجكي خارج باب الجابية [٢] وهو احد نواب القضاة الشافعية [٣] أخذ عن جماعة منهم الشيخ العلامة شيخ الاسلام [٤] يعني ابن قاضي عجلون وأرخ حوادث دمشق [٥] ومن كتبه في التاريخ تذكرة الاخوان في حوادث الزمان [٦] ، وفي كل ذلك شواهد تترى في انه مدون هذا الكتاب . ولما كان ينبغي لنا الا نجزم دون نص صريح منجز ، قررنا ان محيي الدين النعيمي مدون الكتاب بغالب الظن وانتظرنا تأييد هذا القول بمقارنة خط المذكرات بخط النعيمي في مسودة له محفوظة بالرفاعية بالاستانة [٧] فالى مستعربي هذه البلدة قد يرجع الفضل في تحقيق ذلك بمقابلتهم خط النعيمي الذي خلد عندهم . بصورة فوتوغرافية من صفحات هذه المذكرات ندرجها في هذا المقال

أما عنوان المذكرات وغايتها فان المدون لم يستقر على نصها ومما قال في هذا الصدد : « هذا تعليق مبارك ان شاء الله يشتمل على ذكر سنة ست وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وما حدث فيها وذكر وفياتها ممن يعرف ، وما يحتاج مسطرها اليه » وقال أيضاً : « حوادث سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ، ومن يتوفى فيها ويختار

---

(١) التي منها ان له اولاداً منهم ابو الفضل محمد والعباس وحمزة وابن خال اسمه نور الدين وان له بستاناً يجتمع فيه بشيخه واقرانه وانه يكثر السفر الى معلولا ولعل له بها املاكاً وانه شريك الشيخ خليل بالمخزن ومتولي وقف السمرية ؟ (٢) الضوء اللامع ٤ ـ ٢٩٢ (٣) الكواكب ، ٥٥
(٤) المصدر السابق . (٥) المصدر السابق والشذرات ٨ ـ ١٥٣ (٦) المصدران السابقان
(٧) Brockelmann : G A L . II . 133

وغيرهم ممن يعرفه كاتبه ، لطف الله تعالى به ، وبعض ما يتعلق بكاتبه ، ومن يشهد عليه كاتبه » . وأكثر الظن ان هذه المذكرات لم توضع لتكون كتاباً ينشر ، ولكنها ديوان أودع فيه صاحبه ما يمت اليه بصلة من حوادث يجب تقييدها وما ينتمي الى تاريخ زمانه ويتصل بأخبار بلده ، قصد في ذلك اعانة ذاكرته فيما يهمه تذكره وضبط الحوادث لتكون تاريخاً يرجع اليه ، او يصنف أخباره في سفر يخرجه للناس .

ولهذه الطريقة من التدوين نظائر سالفة ، فقد نهج مؤرخو الاسلام هذا الاسلوب في جمع تاريخ عصرهم ، على اختلاف في كيفية الجمع وشكل السياق . والغالب أن المتقدمين منهم لم يدونوا حوادث عصرهم بصحائف خاصة مفردة بل كان جلهم يجمع في « مجموعه » او « تذكرته » او « تعليقاته » كل ما يسمعه ويقرأه ويقع له ولغيره فتختلط الاخبار بالفوائد والحوادث بالسماعات ، حتى اذا عن للجامع افراد تاريخ عصره بتأليف أفاد من هذه المجموع فهذبها ورتبها ، والا فالفائدة منها لمن تنتهي اليه .

ولعله لم يخطر في قرون الإسلام الأولى ببال أحد ان يدون حوادث الأيام والليالي بتتبع لا اسقاط فيه ولا اهمال به ، وأول من نعرف ممن عدد حوادث عصره تبعاً للأيام محمد بن عبد الرحمن بن الفرات (٧٣٥ — ٨٠٧) في أواخر تاريخه في المجلد التاسع القسم الثاني الذي نشره الاستاذ قسطنطين زريق ، غير انه اقتصر على الاخبار السياسية استقى معظمها من سجلات الدواوين . والتقط بعضها من أفواه المعاصرين فذكر اليوم الذي سمعها فيه وهو مع ذلك يسقط من الأيام عدداً لا يذكره ، ولعل تقي الدين بن احمد بن قاضي شهبة (٧٧٩ — ٨٥١) من القلائل الذين عنوا بتعداد الحوادث يوماً فيوماً فذكر السخاوي انه أرخ حوادث زمنه الى يوم وفاته[1] يعددها يوماً فيوماً[2]

وأياً كان فان المذكرات اليومية قلت او كثرت لم تنته الينا الا مهذبة

---

(١) الضوء اللامع ١١ — ٢٣ (٢) في الدارس في أخبار المدارس للنعيمي نقول كثيرة منها .

منقحة اي بعد ان رفعت منها الحوادث الخاصة واقتصرت على مابعد تاريخاً بالضبط ٠

أما مذكراتنا هذه ، فهي لم تهذب وما برحت جامعة لأخبار تستنكف عن ذكرها التواريخ ، وحوادث تتجنبها التصانيف ، ولئن خلت هذه الاخبار والحوادث من الفائدة لابن عصرها فهي تعلو غيرها قيمة في نظرنا لما تبسطه لنا من دلائل على حياة العصر وصورة الزمان ، وكذلك يجوز لنا ان نقول انه سيكون لهذه المذكرات شأن في معرفة عادات طمس على بعضها الزمن وصور من الحياة الاجتماعية عفا عن جلها الدهر وتاريخ دقيق مفصل لدمشق وعائلاتها وأفرادها بحياتهم اليومية ٠

على ان هذه الفائدة مشوبة بعيب يلزمها فينفر منها : الا وهو أسلوب المذكرات ، فقد شوه بالألفاظ الدخيلة العامية واللحن المستهجن والجمل التي لا تستقيم ٠ ولعمري ان في هذا بلاءً على هذه المذكرات ، فالقارئ لا يعذر الكاتب الذي يكتب مسرعا ثم لا يهذب ولو انه ما كتب الا لنفسه وما فكر بغيره ٠ على ان تلافي هذا الشين يسير على من يقوم بنشر هذه المذكرات فليس عليه الا ان يصحح بعض ألفاظها ويعدل بعض جملها دون ان يغير على المعنى وان أحسن الى الديباجة [1] ٠

وبعد فأرى إتماماً للفائدة ان أنشر حوادث أيام شهر منها بتفاصيله واخباره دون تصحيح او تعديل ليحسن تصورها ويعرف شيء من فائدتها وعيبها وهذا أوان الشروع :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ذكر ما تيسر ذكره من حوادث هذه السنة المباركة وهي سنة سبع وتسعين وثمانمائة استهلت هذه السنة المباركة والسلطان والخليفة هما اللذان كانا في سنة ست وتسعين وثمانمائة[2]، ونائب الشام قانصوه اليحياوي [3] ، ونائب حلب ازدمر [4] ، وهو والحلبيون متنازعون ، وعندهم ماماي [5] جهزه السلطان من شهر ذي الحجة من السنة

(١) على أن يشير الى أصل العبارة في الهامش هذا إذا أراد أن يقربه إلى نفوس الناس أما إذا قصد التحقيق والعلم ترك الأصل كما هو وأشار الى الخطأ بالهامش إن شاء ٠ (٢) أي الملك الاشرف قايتباي والخليفة أمير المؤمنين يعقوب (٣) ترجمته في الضوء ٦ ـ ١٩٩ (٤) ترجمته في الضوء ٢ ـ ٢٧٤ (٥) ورد اسمه في الضوء ٦ ـ ٢٣٦ ماميه

الخالية للكشف والصلح ان امكن ، وقاصد السلطان جهزه لابن عثمان ملك الروم للصلح مع قاصد الروم القاضي المحرر من ابن عثمان للسلطان لطلب الصلح وهو جان بلاط [1] اللهم اصلح الحال . وقضاة مصر على ماهم عليه ، وقضاة الشام على ماهم عليه غير ان الشافعي ابن الفرفور شهاب الدين [2] له في القاهرة نحو سنة ، والقاضي المالكي شهاب الدين المريني [3] توفي شهر ذي الحجة من السنة الخالية في قرية القرعون من البقاع ، وحمل الى دمشق ميتاً رحمه الله وصلي عليه يوم الجمعة عيد النحر بالجامع الأموي ، والقاضي الحنفي القاضي برهان الدين بن القطب [4] والحنبلي العادة القاضي نجم الدين بن مفلح [5] ، وكاتب السر محيي الدين الاسلامي غايب بالقاهرة ، وناظر الجيش تمربغـا مملوك قجماس [6] امين كتب طلب للقاهرة في السنة الخالية وهي شاغرة ، وحاجب الحجـاب في القاهرة من السنة الخالية يونس ، واركماس [7] دوادار السلطان في طرابلس له هناك جهات راح اليها بعد ان وقع منه خباطات بسبب الصالحية وأهلها والنائب والقضاة وراح في حجة ذلك وهو الآن بها ، ومولانا الشيخ [8] غائب ببعلبك له نحو ثلاثة أيام بها ، والسيد كمال الدين [9] في الحجاز الشريف : حج في السنة الخالية ، والقاضي بها برهان الدين بن المعتمد [10] الى الآن بالقاهرة ، والوكيل الصلاح العدوي [11] في القاهرة بطلب

شهر المحرم الحرام

مستهله [12] : الجمعة المباركة ، ثالث تشرين الثاني ؛ كنت بقرية معلولا من جبة عسال ، لي اربعة أيام بها ، وقد فرغت قسم جهات القاضي برهان الدين المعتمد بالجبة

---

(١) ترجمته في الضوء ٣ ــ ٦٢ (٢) ترجمته في الضوء ٢ ــ ٢٢٢ (٣) ترجمته في الضوء ٢ ــ ٢١٨ (٤) ترجمة في الضوء ١ ــ ٢٩ (٥) ترجمته في الشذرات ٨ ــ ٩٢ (٦) ترجمته في الضوء ٦ ــ ٢١٣ (٧) ترجمته في الضوء ٢ ــ ٢٧٤ (٨) هو تقي الدين بن قاضي عجلون كما مر سابقاً وترجمته في الضوء ١١ ــ ٣٨ والكواكب ٢٧ والشذرات ٨ ــ ١٥٧ (٩) هو كمال الدين ابن حمزة انظر الكواكب ٩ والشذرات ٨ ــ ١٩٤ (١٠) ترجمته في الضوء ١ ــ ١٢٣

(١١) ترجمته في الضوء ٨ ــ ٩٨ (١٢) فوق هذه الكلمة وامامها أيام بقية الشهر ورد حرف (ص) ، والغالب أنه رمز إلى انه صح تأريخ الشهر هكذا بعد مشاهدة الهلال .

ثانيه : السبت المبارك ؛ وقع مطر وغيم وبرق وبعيض رعد

ثالثه : الاحد المبارك ؛ فيه سافرت من معلولا العدا المتعبين ، وكان غيم وضباب ورشاش مطر ، وجئنا للتوانه وقت الغدا ثم جئنا الى بدا قبيل العصر على عزم المبيت بها

رابعه : الاثنين المبارك ؛ تغدينا بكرة يومه ببدا[1] ، وسافرنا للمدينة على طريق منين ، ودخلنا المدينة قبيل العصر ، ووقع في آخره مطر

خامسه : الثلاثاء المبارك ؛ وجدت سيدي الشيخ مسافراً في الصويرة لقسم حصة فيها ، ثم سافر منها الى بعلبك مع الشيخ بهاء الدين الفص[2] بسؤال منه له في ذلك ؛ وسيدي محمد وسيدي ابو اليمن وابو الطيب وابن نعمن وعبد الرحمن البعلي الحنبلي ، ولم أدخل المدينة ٠

سادسه : الاربعاء المبارك ؛ دخلت المدينة ورحت الى عند سيدي الشيخ شهاب الدين ابن المحوجب[3] بسبب القاضي بهاء الدين وسمعت بموت البابا[4](؟) بالعنابة

سابعه : الخميس المبارك ، لم ادخل المدينة ، وسمعت بوفاة محمد البيطار الذي كان في خدمة بدر الدين المغربي ، والشيخ خضر الحريري المتصوف من الصالحية رحمهما الله ، وانه جاء مرسوم بأن نواب القاضي الشافعي لا يحكم أحد في بيته ولا يكون عند أحد منهم شاهد ولا وكيل ولا رسول ، وانما يحكمون في بيت القاضي ، وان القاضي هو المرسل ، قبح الله كتاب القاضي

ثامنه : الجمعة المبارك ، فيه توفي شخص نحاس وزوجته في يوم واحد او ليلة واحدة ، وصلي عليهما بالجامع الأموي

تاسعه : السبت المبارك ، لم أدخل المدينة ؛ صحو وغيم ونسمة هواء في آخره

استهلت هذه السنة المباركة ان شاء الله تعالى والاسعار مرضية ولله الحمد ، خصوصاً القمح والشعير والزيتون في مدينة دمشق في غاية الاقبال ، والماء كثير ولله الحمد ،

(١) في الأصل يوم بدا ، ولعله سبق قلم (٢) تقدم ذكره في الهامش رقم ٣ من ص ١٦٣

(٣) ترجمته في الضوء ١ ــ ٣٣٦ (٤) لم نعثر على ما يقابل هذا الرسم ولعله البابا إشارة الى أحمد بن البابا أو محمد بن سعيد بن البابا : الضوء ١١ ــ ٢٣٦

هذا مع الظلم الزائد من الحكام ومن الرعية ، ظلم العباد والنفس ، لله الأمر من قبل ومن بعد .

عاشره : الاحد المبارك ، في ليلته العشاء جاء سيدي الشيخ من بعلبك

حادي عشره : الاثنين المبارك ، فيه كنت في سوق جقمق على حانوت السيد الصلتي واذا بابن محمود فجاء ني فسلم وانحنى الى عند كتني قبلها ، وجلس الى جانبي فتحادثت معه بلطف ورفق ، ثم ذكرت له من جهة حصة تركات ابن بنت القزاز وطال الكلام معه الى ان قال لي : انها معه وانتقلت اليه بالطريق الشرعي ، وان أقاربه صادقوه انها له وأقام فصلاً بأنه يستحقها وانجر الكلام الى ان استطال علي بالكلام الفاحش السيء بأني آكل الحرام واستحله وان الفقهاء يأكلون الحرام وان الذي معي ما استحقه ، فقلت له : أنا ما آخذ شيئاً الا بقول علماء المسلمين وحكام الشريعة فاستطال أيضاً ، وقال كلاماً يقاتله[1] الله تعالى عليه فقال : والله ، ولو حكم لك أحد بهذا ما سمعت له شيئاً : واخنقك واكسر جوزة حلقك ، واومأ الى حلقي بيده ، وانت أقل وأذل ، واستمر يقول ويوشي علي ، فأعرضت عنه وما خاطبته شيئاً ، واستعنت عليه بمولاي وعلى غيره ، العظيم الجبار القاهر الذي لا يحول ولا يزول

ثاني عشره : الثلاثاء المبارك ، سمعت بوفاة الشيخ احمد المتصوف الدويلعي رحمه الله تعالى والغزاوي[2] المؤذن بجامع بني أمية المعروف بالنمش رحمه الله ، كان آخر قدماء المؤذنين بالجامع وكان قيماً أيضاً

ثالث عشره : الاربعا المبارك ، فيه سمعت بوفاة نوروز[3] دوادار ازبك امين كتب بالقاهرة وعبد الرحيم حمو القاضي الشافعي ابن الفرفور من اولاد الجيعان بالقاهرة ، وأمس[4] جاءت كتب الحجاج من القاهرة ، ومما فيه ان سيدى علي بن القاري طلب للقاهرة وراح ، وسمعت ان الكافل ضرب خازنداره واستاداره وهو مملوكه كرتباي ضرباً مبرحاً ، وسببه انه ضمن اقطاع الكافل وعمره كل شهر على ارمه[5] سبع وستين

---

(١) أو يقابله (٢) فوق هذه الكلمة عبارة تعسر ضبطها (٣) انظر في الضوء ١٠ ـ ٢٠٥ ضبط تاريخ وفاته (٤) بعد هذه الكلمة إشارة ترد كثيراً في المذكرات وهي رمز إلى « الشهر الحاضر » (٥) عسر ضبط هذه الكلمة ، وهي إشارة إلى اجرة متفق عليها

صفحة من الأصل ، انظر نصها من أواخر الصفحة ١٤٩ من هذا المقال

وخمسمائةوان الشهر الماضي والشهر الحاضر منكسر عليه ، وطلب ذلك منه ، فقال : مامعي شيء ، وكان جوابه ان الى جانبه دبوس فضربه بالحديد فكسر ضلعاً من اضلاعه ثم ثنى ثم ثلث ثم رماه ، وضرب جميع جسده ، وما أقاموه الا محمولاً ، وأمر به فسحب الى سجن باب البريد على هيئة بشعة ، وابتدئ عند مولانا الشيخ بالقراءة في الفقه للاولاد وابن غازي كمال الدين بن بنت عم الشيخ ، وابن الحموري وابن هشام جاءا يسألان في القراءة في الزوائد مصنف مولانا الشيخ

رابع عشره : الخميس المبارك ، كان فيه هواء بارد ، وحصلت اوله رشة مطر قوية ، ويقال ان الثلج وقع على الجبال

خامس عشره : الجمعة المباركة ، ليلته صحو وبرد ونسمة باردة ، وسمعت بأن علي الحموي قاضي طرابلس الحنفي طلب منه الفا دينار وعزل ، وولي أو سعى دحروج فيها بخمسمائة دينار لا بارك الله فيهما

سادس عشره : السبت المبارك ، ليلته برد وصحو ونسمة باردة ، وصقع عندنا الباذنجان ، وسمعت هذا اليوم انه جاء كتاب احمد بن الشيخ ابراهيم الاقباعي[1] من على المصري ان امير الركب الشامي اسره العرب واستقر عندهم ثلاثة أيام ثم افتدى بنفسه منهم بمال ، فأطلقوه ، وقيل انه بالعلا في الطلعة ، وذكره مولانا الشيخ لي عن علي ابن البصروي . وكان يوماً بارداً الى آخره مع صحو .

سابع عشره : الأحد المبارك ، في ليلته صحو وبرد . توفي في الاسبوع الماضي سارة بنت بنت المرحوم الشيخ زين الدين خطاب بن الشيخ اسماعيل النووي رحمهم الله تعالى وفيه جاء بهاء الدين بن الباعوني[2] من القاهرة بحريمه ، وهو يوم بارد صحو

ثامن عشره : الاثنين المبارك ، في ليلته صحو وبرد ، وكذلك يومه

وفي هذه السنة اتحد كمال الدين محمد بن محيي الدين بن غازي بسيدي الشيخ فقربه اليه وتردد اليه ، ثم انه في هذا الاسبوع عزم على النقلة من الصالحية الى عند مولانا

(١) ورد الاسم في الاصل صعب القراءة ولعلنا لم نخطئ في تأويلنا

(٢) ترجمته في الضوء ١٠ ــ ٨٩

الشيخ ، فأسكنه بخلوة بالدولعية ، وليس له أحد بدمشق ، وهو ابن بنت عم مولانا الشيخ ، وهو القاضي بهاء الدين رحمه الله .

وفي هذه السنة جاء نائب حمص المعزول التركماني سكن الصالحية وولى ابن دوار النور ، ويقال ان معه خلا ثقته نحو الاربعمائة نفس فأخرجوا الناس من بيوتهم وشوشوا عليهم وهم على فسق كبير ، نسأل الله العافية

وفي هذا اليوم اقيمت غاغة بسبب قاصد جاء من القاهرة وعلى يده مرسوم بأن القماش الحرير الاطلس بطال وطلب له تسفير كبير من الحريرية فاجتمع الحريرية وخلق كثير ، وجاءوا الى الجامع وراحوا للنائب وان النائب قال لهم اجمعوا له تسفيراً مائتي دينار واستمروا الى الظهر وما أعلم ما حدث ، نسأل الله حسن العاقبة .

تاسع عشره : الثلاثاء ، حضرت الدرس ، في ليلته صحو وبرد كثير ، في يومه البرد أخف مما كان بقليل [١] ،وتوفي بهاء الدين النيربي رحمه الله [٢] ، وحضرت جنازته ودفنه بتربة باب الصغير ، و كان سيدي الشيخ حاضراً دفنه جوار سيدي نصر المقدمي ، وسمعت بوفاة [٣] ابن الفاكهاني المصري ، وهما طاعنان في السن ، خصوصاً بهاء الدين

عشرينه : الاربعاء المبارك ، فيه سمعت بوفاة ولي الدين القواس السكري ، رحمه الله وكان الآخر معمراً

أحد عشرينه : الخميس المبارك ، حضرت الدرس ، فيه جاءت كتب الحجاج قبيل الظهر ، وذكر ان جمال الدين بن العقرباني توفي ، كان مجاوراً

ثاني عشرينه : الجمعة المبارك ، فيه كان القاضي الحنفي عند مولانا الشيخ بالمشهد لأجل قضية البقاعيين الى العصر وانفصلوا بالرشاد [٤] ، وكذلك عبد الساتر وابن سعود انفصلت

---

(١) الاصل صعب القراءة ولعل تأويلنا صحيح (٢) وقد تقرأ النيربي (٣) كتب فوق هذه الكلمة لم يصح وأضاف على الهامش : لم يصح ورأيته في خامس عشرين شهر ربيع الاول تحت القلعة من هذه السنة (٤) وردت هذه الكلمة في الاصل صعبة القراءة ولعل تأويلنا صحيح

ثالث عشرينه : السبت المبارك ، برد وصحو ، ولم يصح عزل الحموي من طرابلس ولا ولاية دحروج ، وذكر لي الشيخ ابو الفضل القدسي انه نزل للشيخ بهاء الدين بن سالم عن نصف امامة البادرائية والاعادة والأذان اي النصف في الجميع وان من ذلك كل شهر (؟) نيابة الأذان (٤) يبقى له (٥) . وكان الاتفاق على ذهب (٥) وانه دفع له ستاً وأربعين بواسطة القاضي كمال الدين بن الناسخ في الدخول بينهما

رابع عشرينه : الاحد المبارك فيه الدرس وحضرت ، والبرد موجود

خامس عشرينه : الاثنين المبارك ، فيه صحو وغيم وبرد ، وذكر ان المطاح (؟) وقعت بعد العصر ، ولم يتحقق الحال ، وكثر الغيم من بعد العصر ، وترطب عند الغروب شيئاً يسيراً .

سادس عشرينه : الثلاثاء المبارك ، وفيه دخل الحجاج من الليل واستمروا الى ان دخل المحمل الى القلعة قبيل العصر ، ولبس الكافل خلعة الشتاء اول النهار ثم رجع لاقى المحمل ، وسمعت بموت ابن ابن جلبان[1] نائب الشام كان جلد . وجاء العباس المريني من القاهرة وأخبر انه انفصلت وظيفة القضاء المالكية للطولعي على ستماية ارمه[2] ، وسمعنا بالامس ان ابن العجمي الذي جاء من القدس الشريف احد الدجاجلة انه مات وهو داخل للقاهرة او مات بها حين دخوله ، وكفى الله المسلمين شره ، ولله الحمد ، ليلة الاثنين ولدت نجوم بنت بنت خالي محمد بنتاً من زوجها أبي أولادها

سابع عشرينه : الاربعا المبارك ، في ليلته بات عند سيدي ابي اليمن امرأة من حارة القراونة من جهة بيت احماه ، أصبحت بكرة النهار ميتة فجأة اللهم توفنا مسلمين على الاسلام والسنة ، وجاء الدوادار من بلاد طرابلس انحس ما كان ، أي مرأ مسكه من أهل المزة والصالحية ضربه وحبسه ، والناس يأتون الى مولانا الشيخ افواجاً أفواجاً بسببه ، أللهم اقصمه وأرح العباد والبلاد منه

(١) ترجمة جلبان في الضوء ٣ ـ ٧٧ (٢) انظر رقم ٣ من هامش صفحة ١٤٩

ثامن عشرينه : الخميس المبارك ، وفيه كانت غوغاء على دوادار السلطان من أهل المزة ، واجتمعوا بالبادرائية نحو المائة نفس واكثر بسبب انه أرسل اليهم مماليكاً المغرب وكبسهم ومسك منهم جماعة ، وذكر ان الكافل لبس شخصاً من جماعته اسمه قطلج الخازنداريه والاستاداريه

تاسع عشرينه : الجمعة المبارك ، فيه أقيمت الغاغة على داوادار السلطان بسبب المزة ولم يتحرر أمر ، وذكر لي ان المرأة التي صلى عليها والرجل الزوجين أخو بهاء الدين الكحال وزوجته .

وبذلك تنتهي حوادث شهر المحرم من سنة ٨٩٧ هـ الذي يبتدئ بـ ٤ ت ٢ وينتهي بـ ٣ ك ١ ١٤٩١ م

وعسى ان يكون فيما قدمناه دافع لذوي العلم والنشاط في العناية بهذه المذكرات القيمة

يوسف العش

العربية العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى

(٣) تتمة

— مخالفة الصحيح في تذكير وتأنيث وغيرهما —

من هذه المخالفة ان العوام يؤنثون الماء والنار والبلد والميناء وهي مذكرة . ويذكرون الكف والكتف والكرش والكبد والساق والقدم والكاس والفاس والقدوم والقوس والدرع والسن وكلها مؤنثة . وفي العامية المصرية يؤنثون راس وبطن ومركب وهي مذكرة . وقريب من هذا الباب مايعهد نادراً في مخالفة الإفراد والجمع . فان لفظة سراويل من الدخيل الفارسي في العربية الفصحى وهي مفرد جمعه سراويلات والعامة يجعلون سراويل جمعاً ويبدلون بسينه شيناً فيقولون شروال وشراويل . وبعكس ذلك توهموا « جِلال » بكسر الجيم مفرداً وجمعوه على جلالات مع انه جمع ومفرده جُلّ بضم الجيم . وقد يقولون فلان روم وفلان كاثوليك مع ان روم و كاثوليك شبها جمع يتضمنان معنى الجمع فالصواب ان يقال فلان رومي وفلان كاثوليكي وفلان بروتستانتي لا بروتستانت . ومن هذا القبيل قول بعض العامة فلان اعضا في المحكمة او البلدية او مجلس الادارة . والصحيح فلان عضو وأما أعضا فهو جمع عضو بعد تخفيفه بحذف همزته لأن أصله اعضاء .

— مخالفة الصيغة الصحيحة —

يغلب في العامية أن يقوم « فعل » مقام « أفعلَ » المتعدي فيقول العوام « تلف فلان الشيءُ » عوض اتلفه . و « هنت فلان » اي اهنته . وعنته اي اعنته . و كرمته وعطيته عوض اكرمته وأعطيته . وهم فوق ذلك يحذفون هاء الضمير مستغنين عنها بضمتها التي يشبعونها فيولدون منها واواً وهذا دأبهم في الأفعال والأسماء . فيقولون « هنتو . عنتو . عطيتو . كرمتو الخ » عوض هنته عنته الخ . والظاهر انهم يهربون من صيغة أفعل ويستثقلها لسانهم فان وردت من اللازم ايضاً اعادوها الى وزن فعل فيقولون فلتَ وجفل عوض افلتَ وأجفل . ولكنهم على أفعل (كذا) في استعمال آخر ملؤه الخطأ

فيقولون : « فلان اوعدني بالمساعدة » والصحيح وعدني بها • لأن وعد مختصة بالخير وأوعد بالشر • فمعنى اوعد وتوعد تهدّد • ومن الكثير الوقوع في كلامهم اتخاذ « انفعلَ » عوض المجهول من « فعلَ » في ازمنة الفعل ومشتقاته فيقولون « انحرَم • ومنحرِم » عوض «حُرِم • ومحروم » ويقولون « بنكتب • وبنقرا • ومنقري » عوض «يُكتب • ويُقرأ • ومقروء » ويقولون • هذا كرمي مخلع لا ينقعد عليه • عوض لا يقعد عليه • وهذا درب صعب ما بينمشى فيه عوض لا يمشى فيه • ومعلوم ان صيغة انفعل ترد في أحوال كثيرة لمطاوعة فعلَ في اللغة الفصحى فتطابق حينئذ نهج العامية نحو كسرت الابريق فانكسر وجبرت العظم فانجبر • ولكن العوام يوسعون سلطانها الى ما وراء حدوده المنصوص عليها • وفي العامية المصرية يغلب ان يستبدلوا بنون انفعل تاء فيقولون في انكسر اتكسر • وفي انقسم انقسم • او انهم يقيمون افتعل مقام انفعل مع تقديم تائه كما رأيت في هذين المثالين • وهكذا يفعلون بتقديم تاء افتعلَ أحياناً فيقولون في التهى اتلهى • وفي يحترق يتحرق • وصنيعهم هذا يدخل في باب القلب الآنف الذكر • ومن مخالفة الصيغة عند العوام قولهم محشي عوض محشو ومقلي عوض مقلو • واما مقلي فمعناها في الفصيح مبغض لأنها اسم مفعول من قلى يقلي بمعنى ابغضه يبغضه • وأما معالجة الطعام مع إدامه على النار فهو واوي اي قلا يقلو • ويقولون مهيوب ومبيوع عوض مهيب ومبيع وبنحون هذا النحو في كل اسم مفعول من مجرد الاجوف • وفي غير الاجوف يقولون مخدوم عوض خادم ومقدّم العشيرة بكسر الدال عوض مقدّمها بفتح الدال • ويقولون مقصر ومقال ومكثر على صيغة اسم المفعول الى نظائر كثيرة له والصواب ان يجعل على صيغة اسم الفاعل بكسر ما قبل الآخر • ويقولون : « هادا حسن يسوسح الناس » تحريف يسحرهم بمعنى يفتنهم ويقولون فجعان في مفجوع وتلفان في تالف مع نظائرها غير قليلة ويقولون « هادا رجل محمول » اي متحامل عليه • وهادا رجل سكري اي سكّير كما يقولون سكير حسب لفظه الفصيح • ويقولون شاف بمعنى نظر محرفاً عن الفصيح تشوف الى الشيء اي نظر اليه باشتياق • ومن مخالفتهم للأحكام الصحيحة استغناؤهم عن صيغة المثنى بصيغة الجمع وعن صيغة جمع المؤنث

بصيغة جمع الذكور . ولكن سكان القرى في اقليم اللاذقية لا يقبلون ذلك فلا يقولون مثلاً « طالعين . نازلين » عوض « طالعات نازلات » ولا « طلعوا . نزلوا » عوض « طلعنَ . نزلنَ » ولكنهم يكسرون نون النسوة عوض فتحها فيقولون « طلعنِ . نزلنِ » . ومما جرى عليه العوام في كلامهم انهم ينقلون كسرة كاف المخاطبة الى ما قبلها تفرقة بينها وبين كاف المخاطب . وهذه الحيلة من قبلهم لا بأس فيها . فيقولون « عندَك يا صبي . وعندِك يا بنت » .

— العجمة —

من أمثلة الدخيل الافرنسي الاصل في عاميتنا ، ما يأتي : « متر . كيلومتر . كرام . كيلوكرام . ليتر . جاكيت . كرافات . بنطلون . كلسون . بوت . شميزيت . روب كريب . كريب ماروكان . كريب شينوا . بونجور . بونسوار . باردون . قنصل . كابورال . سيرجان . كابيتين . ماجور . كومندان . كولونيل . جنرال . مارشال اميرال . بور . اوتيل . رستوران . اوبيتال . سلفات . كربون . ملاريا . تيفوس . تيفويد . وقد تكون اللفظة الافرنسية أخفى موضعاً كما يقولون في كاشنه Cache-nez وهو نوع من البراقع الصغيرة — كشنة مصبوبة في قالب عربي . والبرقع الصغير في العربية الفصحى يسمى معجراً . واعتجرت المرأة أي لبست المعجر . ومن هذا القبيل اللفظة الافرنسية بومدوريه Bomme-dorée للنوع المعروف من البقول فقد سميناه بندورة .

ومن أمثلة الدخيل التركي الأصلي ما يأتي : قشله ، بك ، خواجا . همشري . اونباشي ، جاويش ، يوزباشي ، قول اغاسي ، بينباشي ، ميرالاي ، اوردي ، شاه ، بادشاه ، . طوب ، يطاغان ، بيرق ، سنجق ، دوشمن ، سربست ، شلبي ، تنبل ، نازك قاورمة ، شاورمة ، بوقطرمة ، دوندرمه ، بوقلمه .

ومن الدخيل التركي الأخفى أثراً مما ذكر قول عامتنا : « فلان كل شغلوا على الشلا بيلا » واصل اللفظ التركي « شويله بويله » اي هكذا وكذلك . اشارة الى الخلط والفوضى . وقولهم « كمكه » واصلها « كيم كيمه » اي « مَن ولمن » يكنون بهذا

الاستفهام عن التداخل وشدة الازدحام ، ويقولون (« بلش بكذا » اي ابتدأه . وهو من المصدر التركي باشلمق فكان الحق ان تقدم الشين على اللام ولكنهم ارتكبوا القلب في هذه اللفظة كما ارتكبوه في غيرها من كلامهم مما سبق بيانه . ويقولون « كزّر » اي تمشي جيئة وذهاباً من المصدر التركي كزدرمك . فكان ينبغي ان يقولوا كزدر فقالوا كزر على سبيل الابدال الذي مرت معنا امثلته .

ويقولون « آشق » بمعنى مفتوح او مكشوف من المصدر التركي اچمق . وقد استعمل من الادوات التركية مز بمعنى « بلا » وجي . ولي . من ادوات النسبة عند الأتراك . نحو « اخلاقسز تحصيلجي مروتلي »

ومن الألفاظ الاعجمية الدخيلة علينا في عاميتنا من غير الافرنسية والتركية اي من الايطالية واليونانية والفارسية هذه الالفاظ . تياترو . بنديرة . برنامج . سنكروزا لينو . هاي لايف . جنتلمان . انجيل . اسقف . خوري . ارشدياكون .

وعلى ذكر العجمة ينبغي ان انبه الاخوان الى شيء مضحك في التسمية يجري بيننا وبين جيراننا الترك تنطبق عليه النادرة الآتية :

أراد جماعة من الصبيان ان يعبثوا برجل مسكين على قارعة الطريق فأخذوا يضربونه ويتجاذبون ثيابه ويبصقون في وجهه . فصبر على مضضهم هنيهة ثم عيل صبره وأراد ان يصرفهم عنه بحيلة او اكذوبة فقال لهم : ويحكم ما تنتفعون مني هاهنا وأنتم تضيعون وقتكم سدًى . اذهبوا سريعاً الى الساحة الفلانية من البلدة فان هناك رجلاً من الغرباء العظماء غنياً سخياً يوزع الدراهم والدنانير على كل من يقصدونه ويتقدمون منه . فما كاد الصبيان يسمعون هذا الخبر حتى تركوا المسكين وركضوا مسرعين الى الساحة المذكورة وانتشر الخبر بين صبيان تلك الناحية فأخذوا يتراكضون الى المكان المقصود . واما المسكين فنسي انه صاحب تلك الحيلة ومخترع تلك الاكذوبة . فسأل احد الصبيان المتراكضين قائلاً : « بالله خبرني ما شأنكم ؟ » فأجابه : « قم يا مسكين واتبعنا مسرعاً الى الساحة الفلانية فهناك رجل غني محسن يوزع المال على الناس » فصدقه الرجل وقام مسرعاً يتبع الصبيان .

وهكذا شأننا نحن فقد صدقنا الأتراك في دعواهم بجعل التاء مبسوطة في آخر أسماء العلم نحو شوكة وحكمة ورفعة وطلعة فأخطأنا مثلهم في كتابتها والتلفظ بها قائلين كاتبين : شوكت وحكمت ورفعت وطلعت ونسينا اننا أعرناهم اياها من معدننا وان هذه التاء مربوطة يجب الوقوف عليها هاء لا تاء مثل اخواتها العربية القديمة : طلحة وعنترة ونعمة وربيعة وقدامة وخارجة وحنيفة وباهلة الخ . وقريب مما ذكر ولكنه أقل قبحاً ان نقول في أعلام رجالنا حاذين حذو الترك : صبري وشكري وفهمي الخ بزيادة ياء في آخر اللفظة وهي عندهم قد تعادل ال التعريف عندنا مع ان هذه الألفاظ مصادر عربية محضة . والعرب الفوا اتخاذ بعض أعلامهم منقولة عن المصادر فعندهم من الاعلام : فهم ورجاء وبهاء وكمال وجمال وجلال الخ . ومن ثم وجب ان يسير بيننا من أسماء العلم صبر وفهم وشكر عوض صبري وشكري وفهمي الى ما شاكل ذلك .

— ما يجاور هذه الوجوه ويتصل بها —

من ذلك ان العامة تقول « علك فلان » يريدون انه هذر وثرثر لأنه ردد الكلام وعالجه في فيه كثيراً كأنه يعلكه علكاً . ومن ايجازهم المعدود في باب النحت والاشتقاق قولهم : تبرمك فلان او تقربط او تدمشق او تبغدد أي فعل فعل البرامكة او القرباط وتخلق بأخلاق اهل دمشق في رقتهم وتمدنهم او اهل بغداد في زهوهم وخيلائهم . ومن هذا القبيل قولهم : تضهر وتعصرن وتسحر اي تناول طعام الظهر والعامة يقولون الضهر . وطعام العصر . وطعام السحر . ومن هذه الفئة في اللغة الفصحى قولهم تغدى أي تناول طعام الغداة وهي الصباح . وتعشى اي تناول طعام العشية . وقد يكون كلامهم مبنياً على كناية فيقولون فلان مبسوط اي راض مسرور لأن الذي يرضى يكون منبسط الوجه . وتقول بعض العامة « معلاق » لقلب الجزور ورئتيه وكبده . لأنها اعتيادياً تعلق معاً في دكان الجزار . ومن أغرب ما سمع عن قرويي اقليمنا اللاذقي قولهم « رحم على فلان » اي قال له « الله لا يرحم اللي ماتوا من اهلك » لأنهم تعودوا هذا التعبير في مشاتماتهم . مع ان رحم فلان على فلان بالعربية الفصحى معناه دعا له برحمة ربه . ومن كلامنا العامي قولنا « سحارة » لنوع من الصناديق الخشبية لأنه كثر استعماله

انقل حاصلات الحقل المزروع بطيخاً او قثاء وهـذا الحقل يسمونه صحرا فسموا الصندوق صحارة ثم لطفوا لفظ الصاد فجعلوها سيناً وقالوا سحارة . ويقولون « قمت من النوم فوجدت باب دارنا مفتوح يا سيداه » ومرجع هذه اللفظة « ياسيداه » الى ان الجارية كانت اذا قامت فوق رأس سيدها المتوفى لتندبه مزقت قميصها و كشفت عن صدرها علامة التفجع وصاحت في ندبها وعويلها « يا سيداه ! » فكأن القائل قال : « وجدت باب دارنا مفتوحاً مثل صدر الجارية الممزق عنه القميص عندما تصيح يا سيداه » . فتأمل اختصار العبارة العامية من وراء هذه الانتقالات الفكرية . مما يذكرنا بحكاية ابي غصن المعروف بجحى فقد كان مستأجر ارض بطيخ فمر به احـد أصدقائه وقال له : « السلام عليكم » فاجابه جحى « هيك » ومرادفتها الفصيحة «هكذا» قال : « ويحك . أهكذا ترد السلام علي » قال لأني اريد الاختصار فلو رددت عليك السلام لسألتني عن بطيخي وأجبتك على سؤالك ثم تطلب منه قرصاً لتذوقه فأرفض فتقول « لماذا » فأجيبك « هيك » فلماذا لا أريحك واريح نفسي واتكرم عليك بهذه النتيجة من اول وهلة . ومما فيه انتقالات فكرية تسمية العامة لنوع من اغطية السرير « حرام » وذلك ان الحاج المسلم في أثناء طوافه وإحرامه اي دخوله الحرم يلتف بعد خلع ثيابه بثوب غير مخيط فسمي هذا القماش احراماً لأنه يستعمل في الاحرام ثم سمي به غطاء السرير اذ اشبهه بعدم خياطته ثم خففوا الكلمة حاذفين منها الهمزة وقالوا حرام عوض احرام ، والظاهر انهم حملوا على هذه التسمية منديل اليد الذي لاخياطة فيه فسموه « محرمة » .

— مشاركة العامية للفصحى في كثير من نواحي علم البيان —

حسبنا ان نشير الى القليل من هذه المشاركة فيستدل منها القارئ على الشيء الكثير . فمن المشاركة في علم المعاني القصر او الحصر . ومن امثلته العامية قولهم : « هيك بدك — عليك المسؤولية » ومن امثلته في القول الفصيح : « اللهم انت الحق واياك نعبد — انما انت منذر ولكل قوم هاد »

ومن ابواب المعاني الاستفهام المقصود به النفي وهو المعروف بالاستفهام الانكاري

كقولـــ العامة « كيف بنسى غرضك · وانا مستعد لكل خدامة » وقول الفصحاء : « وهل عند رسم دارس من معوّل » · ومن ابوابه الامر المقصود به التهكم كقول العامة لمن يحاول كسر عود غليظ وهو عاجز عنه : « شد · شد · كان شوي · يكن تنجح » وفي الفصيح قولـــ الشاعر :

أعـد نظراً يا عبد قيس لعلما تضيءُ لك النارُ الحمارَ المقيدا

ومن ابوابه الايجاز كقول العامة « دَخلك — او — دخيلك » اي انا داخل عليك لاجئٌ اليك فينبغي لك ان تجيرني وتحميني · وفي الفصيح قول ابي الطيب المتنبي :

قالت وقد رأت اصفراري مَن به وتنهدت فأجبتهـا المتنهدُ

أراد بقوله : « مَن به » اي من اتى به · وبقوله : « فأجبتهـا المتنهدُ » اراد : فأجبتها اتى به المتنهدُ ·

ومن ابوابه الاطناب · والاطناب اطالة الكلام بصورة لطيفة انيقة · ومن امثلته أن يقول احد العامة : « انا نصحتو كتير ونبهتو على غلطو أولـــ وتاني وتالت · وانتو بتعرفو طبعو وعنادو ومركزي الحرج بينو وبين خصمو · كيف يجوز لواحد منكم يلومني ولاّ يحطني تحت مسؤوليـة » ومن أمثلة الاطناب في الفصيح قول يزيد بن معاوية الاموي

ولمـا تلاقينا وجدت بنانهـا مخضبـةً تحكي عصارةَ عندمِ
فقلتُ خضبتِ الكف بعد فراقنا وما هكذا فعل المحب المتيمِ
فقالت وابدت في الحشى حرق الجوى مقالة من بالعتب لم يتبرم
وحقك ما هــذا خضاباً عرفته فلا تك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لمـا رأيتك راحلاً وقد كنت لى كفي وزندي ومعصمي
بكيت دماً يومَ النوى فمسحته بكفي وهذا الاثر من ذلك الدم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابةً لكنتُ شفيتُ النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاهـا فكان الفضل للمتقدمِ

وقول بعضهم قاصداً تفكهةً ودعابة :

نمتُ وابليس أتى بحيلةٍ منتدبَهْ
فقال لي هل لك في جاريةٍ مطيبهْ
فقلتُ لا قال ولا أمرد بالبدر اشتبهْ
فقلت لا قال ولا خمرةِ كرم عذبه
فقلت لا قال ولا آلة لهو مطربه
فقلت لا قال فنم ما أنت الا حطبهْ

ومن ابوابه مخالفة مقتضى الظاهر . وكثيراً ما نرى هـذا الباب يؤدي الى طُرَفٍ ونوادر لا نرى العامية خاليةً من امثالها . زعموا ان مستأجر بيت شكا حالة البيت الى مؤجره قائلاً : « سقف بيتك طول الليلة البارحة كان بوكف ويدلق علينا المي بكتره » فأجابه : « شو متأمل يدلق عليك بيرا ولاً شمبانيا وانت مستأجرو بتلات ليرات سورية بالشهر » .

ومن هذا القبيل أن آكلاً في أحد المطاعم وجد في صحنه قطعة خيش اي جنفاص فقرف وغضب واستدعى صاحب المطعم وقال له : « شو هل اكل الزفت اللي عندكم . ليك صحني طلع فيه شقفة خيش » . فأجابه : « دخلك . كلو حقو خمس قروش لازم يطلع لك منديل حرير ؟ » ومن امثلة هذا الباب ان جحى نزل ضيفاً على بعضهم وكان صاحب البيت بخيلاً فقدم لضيفه شيئاً من الزيتون والطيور الصغيرة المشوية . فأخذ جحى يكثر من اكل الطيور ولا يلتفت الى الزيتون فقال له صاحب البيت عليك بالزيتون فانه نافع خفيف . فأجابه دعنا من هذا الخلط فما هو أخف من الذي يطير .

فهذه النوادر في حمل الكلام على غير ما اراده المتكلم من باب مخالفة مقتضى الظاهر تشبه ما يروى من هذا القبيل عن الفصحاء كقول الحجاج للقبعثرى « لأحملنك على الأدهم » فأجابه « مثل الامير من يحمل على الأدهم والأشهب » قال : « انما أردت به الحديد » فأجابه : « والحديد خير من البليد » .

وأما فن البيان فمن مباحثه التشبيه وامثلته في العامية قولهم : « راح واجا متل

اللمع — صمد قدامهم مثل الجبل — هجموا عليهم مثل السباع — عشنا في الحرب عيشة زفت — هل بطيخ عسل بشهدو ٠

ومن مباحث فن البيان الاستعارة — والاستعارة عند التحقيق تشبيه مختصر — وعلى طريقها تقول العامة « ما بسأل عن هيك تعلب — هادي حية لازم نكسر راسها — حيكتولو هاديك التركيبة تحييكه بديعة » ٠

ومن المجاز المرسل في فن البيان قول العامة : « جبالنا تسحب عشرة آلاف بارودة — بلدنا تاكل كل يوم سبعين راس غنم — قامت وقعدت الضيعة لهل خبر »

ومن المجاز المركب قولهم : « بقي يلت ويعجن حتى فوّر لي دمي » ومن الكناية قولهم « اذا الحاكم ما قبل لو عذرو قولوا لو يعصب راسو » كناية عن ان رأسه سيصيبه وجع شديد يحتاج معه الى عصابة يشدها عليه

ومن ملح التعريض عند العامة الذي هو جار للكناية ان رجلاً اكولاً نزل ضيفاً على رجل فقير اياماً عديدة فلما اراد الانصراف قال لصاحب البيت ٠ « اشكرك يا أخ ٠ ان شا الله بيتك بيت عامر » فأجابه على الفور ٠ « ما فيه شي من هادا ٠ بيتي خرب على التمام ٠ والعامر بطنك يا افندي » ٠ ومن ملحه عند الخاصة ان رجلاً جلس الى مائدة رجل بخيل من اقاربه ٠ فلما قدّم له الخادم صحناً تطاير شيء من مرقه على ثياب الضيف ٠ فانتهر صاحب الدعوة خادمه ووبخه فقال له الضيف : « لا بأس عليه ولا علي فان مرقك لا يدنس ثوباً » يريد انه كالماء الطهور ليس فيه شيء من أثر لحم او سمن ٠ ومن ملحه ان احد الناس أراد التهكم على الشاعر الظريف الحسن بن هاني المعروف بأبي نواس فقال له : « يا ابا نواس بلغني ان امير المؤمنين ولاّك على الحمير » فأجابه : « اذن وجبت عليك طاعتي لأنك أصبحت من رعاياي » ٠

وهذه النادرة الخاصية ذكرتني بنظيرة لها عامية رواها لي شاهد عيان قال : اتفق ذات يوم في بلدة برج صافيتا ان المحامي المرحوم امين يازجي كان عائداً الى منزله وبيده صحن فيه قليل من اللحم وكثير من العظام اشتراها من عند الجزار فلقيه احد عارفيه وقال له : « شو هادا يا أمين ٠ بيظهر عليك عامل في بيتك عزيمة

كلاب » فأجابه (معلوم معلوم ! ليش لحدّ هلأ ما وصلتك ورقة العزيمة ؟) ٠

وأما فن البديع فمن انواعه او محسناته المقابلة ٠ تقول العامة مثلاً (ليش تبتعدوا عنا وتقتربوا منهم ٠ ونحن معكم وهم عليكم) ٠ وفي الفصيح قال بعضهم والشاهد في البيت الثاني :

قل لمن لا يرى الأواخر شيئاً ويرى للأوائل التقديما
ان ذاك القديم كان حديثاً وسيمسي هذا الحديث قديما

وما قلته في قصيدة تشبيب :

كذاك كنا : تكاد الاهل تحسدنا واليوم نحن يكاد الخصم يبكينا

ومن التعديد قول العامة : (هادا شي كويّس ورخيّص وابن ناس) وفي الفصيح قول القرآن الكريم من سورة آل عمران :(اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ٠ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وقول حسان بن ثابت يمدح امراء بني غسان :

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

فعكسه احد الظرفاء قائلاً في هجو قوم آخرين :

سودُ الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

وعلى هذا النمط جريت اذ سمعت احد الاخوان يغني :

يا مَن هواه اعزه واذلني كيف السبيل الى وصالك دلني

فقلت له جدير بمثلك ان يقول :

يا من هواه أذله وأعزني كيف السبيل الى فراقك دلني

وسئلت يوماً ان اجيز قول القائل :

صبحته عند المساء فقال لي تهزا بقدري ام تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غشني حتى توهمت المساء صباحا

فقلت للمقترح بل ارى عكس هذا القول الطف من اجازته وذلك بأن اقول :

مسيته عند الصباح فقال لي أتريد لي مزحاً ام استهزاء

فأجبته إظلام وجهك غشني حتى توهمت الصباح مساء

ولكن هذه الأقوال الأخيرة ليس فيها تعديد بديعي بل طباق بديعي ·

ومن لطائف مراعاة النظير في العامية ان رجلاً استأجر بيتاً فشكاه الى صاحبه قائلاً : (يا أخي لازم اليوم تصلح سقف بيتك · البارح طول الليل كان يقرقع علينا · حتى ما خلانا ننام) فأجابه مازحاً : (لا تخاف يا أخ فهو يسبح ربو) فأجابه : (هون كل الخوف وهون كل الخطر · نخاف اذا زاد فيه الخشوع والتقوى يقوم يركع ويسجد علينا) ·

ومن عكس الجمل في العامية ان بعضهم بعدما خاب في الحصول على وظيفة طمع فيها قال لرفاقه : (الصحيح انا بعد ما افتكرت ما حبيت هل وظيفة) فأجابه احدهم (الصحيح يا صاحبي ما حبتك) ومن هذا القبيل ان رجلاً أراد ان يقدم خدمة في بعض الأمور لصديق له غني · والغني كان يقدر ان وراء هذه الخدمة لابد ان يغرم من المال في سبيل صاحبه اضعاف قيمتها فشكره ورفض خدمته قائلاً : (أنا ما بريد احملك هيك ثقلة) فأجابه : (انا بشوف ثقلتك راحة) قال : (وانا بشوف راحتك ثقلة) · ومن عكس الجمل في الفصيح اني قلت في جملة قصيدة قديمة :

أبدرٌ تمام فيك قدري ناقص وناقصُ خصرٍ بي هواك تمامُ

ومظلم قلب فيه يشفع وجهك الـ منير عليَّ النور فيك ظلام

ومن المشاكلة عند العامة ان يقول احدهم : (اذا طير لي حقي بطير عينو) · ومن الادماج عندهم · قولهم : (ما شفنا شي أعظم من عقل جاركم الا كرمو) · ومن التورية قولهم : (كل التين والعن الجوز) حين يكون الحديث عن شخصين : فقد اراد بالجوز الزوج حسب لغة العامة فورّى عنه بلفظ الجوز للثمر المعروف · ومن لطيف التورية في الفصيح قول بعضهم ·

مهفهفان لعبا بالنرد انثى وذكر

قالت أنا قمرتهُ قلتُ اسكتي فهو قمر

ومن التلميح العامي ان يقول احدهم مثلاً : (صاحبنا فلان من اول فنجان

شربو من دواكم حس بحالو انفرج كأن دواكم مسحة الرسول) اشارة الى معجزات الرسل والأنبياء بشفاء المرضى فجأة عند وضع أيديهم على المرضى ·

ومن التلميح الخاصي قول ابي تمام حبيب بن اوس الطائي والشاهد في البيت الثالث

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى قلوباً عهدنا طيرها وهي وقّعُ
فرُدّت علينا الشمس وهي مغيظة بشمس لهم بين الهوادج تطلع
فوالله لا ادري أأحلام نائم أَلَمّت بنا ام كان في الركب يوشع

يوشع في قافية البيت الثالث هو يشوع بن نون خليفة النبي موسى كليم الله في قيادة بني اسرائيل · وقد أشار في البيت الى ما روته التوراة من ان يشوع أخر غروب الشمس ريثما يتمكن الجيش الاسرائيلي من استتمام ظفره بجيش اعدائه من وثنيي فلسطين ·

ومن المبالغة عند العامة ان رجلين في حلب تشاجرا فتهدد احدهما الآخر قائلاً له : (شايفـلك بدّي اضربك كف اوصلك فيه للشام) فأجابه خصمه متهللا (باللهعليك اجعلهم كفين) قال:(ولماذا) قال : (يمكن الله يرزقني الحج مجانًا عن يدك) فضحك الحاضرون ومنهم صاحب الكف ثم تصالح الخصمان · ومن المبالغة في كلام الفصحاء قول بعضهم :

فبشرتُ آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ويوم هو الدهر

وقول الآخر :

كذاك سجاياه : تضيف ضيوفُه ويرجى مرجيه ويُسأل سائلهْ

ومن المبالغة الفكهة قول بهاء الدين زهير :

حدثوا عن طولـ ليل بته هل رأيتم هل سمعتم هل وُجدْ
يا خزاه الله ما أطوله تحبل المرأة فيه وتلد

والذي ذكرناه الى هنا يحسب أشهر واطيب انواع البديع المعنوية واما انواعه اللفظية فأشهرها السجع والجناس · ومما يجري على ألسنة العامة في السجع قولهم : درب السد لا يرد · غلي سمو بدمو · اللي ماما عيبو مافات · وفي الجناس قولهم : راح لبيتو حامل محمل — فلان كامل مكمل — ما شفنا منو الا الجفا والجفاف ·

– مشاركة العامية للفصحى في معاني الامثال ومضاربها –

المثل يحسب في فن البيان فرعاً من فروع المجاز المركب المسمى ايضاً استعارة على سبيل التمثيل او تمثيلاً على سبيل الاستعارة . ولو اردنا ان نستشهد على هذا الوجه بمثة من امثال العامة وما يرادفها في اللغة الفصحى لوجدنا مطلوبنا بقليل عناء وعناية . ولكن المقام الحاضر لا يسمح لنا بمثل هذه الافاضة فاقتصرنا على جانب منها رأيناه كافياً باعتباره نموذجاً ومدعاة اقتناع وانتباه :

(المثل العامي) اللي بياكل العصي ما مثل اللي بعدها . (المثل الفصيح) :

يغيظني وهو على رسلهِ والمرء في غيظ سواه حليم

(العامي) الأسى لا ينتسى . (الفصيح) :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات الصدور كما هيا

(العامي) هادي اربع حيطان . اضرب راسك باللي بتريد . (الفصيح) :

يا شدّ ما بعدت عليك ديارنا وطلابنا فابرق بأرضك وارعد

(العامي) اللي ما بريدك لا تريدو . وان طلب بعدك زيدو . (الفصيح) :

اذا المرء لم يصحبك الا تكلفاً فدعه ولا تكثر عليه تأسفا

(أو) : اذا الخل لم يهجرك الا ملالةً فليس له الا الفراق عتاب

(العامي) المكتوب بينعرف من عنوانو . (الفصيح)

ان الامور اذا بدت لزوالها فعلامة الادبار فيها تظهر

(العامي) انخلي يا لبلى . (الفصيح) :

اذا عذبوني جئتهم بطحينهم وان حلفوني فانخلي امّ عامر

(العامي) بحبك يا سواري . مثل زندي لأ . (الفصيح) :

كل المواطن والبلاد عزيزة عندي ولا كمواطني وبلادي

(العامي) الميت كلب والجنازة حاميه . (الفصيح) :

تمخض الجبل فولد فارة .

(العامي) ضربني وبكى · سبقني واشتكى · (الفصيح) رمتني بدائها وانسلت ·

(العامي) شهوة عجوز في تموز — (الفصيح) : تسألني في رامتين سلجما ·

(العامي) إجا الطبل غطى على النايات — (الفصيح): اذا حضر الماء بطل التيمم · او:

اذا جاء موسى والقى العصا فقد بطل السحر والساحر

(العامي) الزايد اخو الناقص — (الفصيح) : كل ما جاوز حدّه · جاوز ضده · (او) الافراط اخو التفريط ·

(العامي) الدراهم كالمراهم · حطها عالجرح يبرا — (الفصيح) :

كل النداء اذا ناديت يخذلني الا ندائي اذا ناديت يا مالي

(العامي) العين لا تلاطم مخرز — (الفصيح) :

كناطح صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(العامي) بعد خراب البصرة — (الفصيح) : سبق السيف العذل ·

(العامي) شكرنا القط عملها بالموقدة — (الفصيح) :

سبكناه ونحسبه لجيناً فأبدى الكير عن خبث الحديد

(العامي) شو بتعمل الماشطة بالوجه العكش — (الفصيح) :

وراحت الى العطار تصلح وجهها ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر

(العامي) عصفور باليد ولا عشرة على الشجرة — (الفصيح): لا تبع عاجلاً بآجل

(العامي) كيف نغطي السما بالعمى (او) شي بدُّو برهان وشي برهانو منو وفيه — (الفصيح) :

وكيف يصح في الاذهان شيءٌ اذا احتاج النهار الى دليل

(العامي) خد من الحزمة عود · واترك الباقي للقرود — (الفصيح) : حسبك من القلادة ما احاط بالعنق ·

(العامي) كل النقل بالزعرور (او) زيت على الزيتون — (الفصيح) : ضغث على إبالة (اي حزمة صغيرة فوق حزمة كبيرة) ·

(العامي) كنت في القفة صرت على ادنيها - (الفصيح) : كنت كراعاً فصرت

ذراعاً . (او) استأسد الثعلب (او) استنسر البغاث (والبغاث صغار الطير التي تصاد)

(العامي) كل حركة . فيها بركة — (الفصيح) كلب جوّال خير من اسد رابض

(العامي) لاقي لي ولا تطعميني (الفصيح) :

بشاشة وجه المرء خير من القرى   فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

او: وماالخصب للاضياف ان تكثرالقرى   ولكنما وجه الكريم هو الخصب

(العامي) من قلّة الخيل شدّوا على الكلاب سروج — (الفصيح) :

اذا هلكت رجال الحي أضحى   صبي القوم يحلف بالطلاق

(العامي) قال : الله يلعن اللي بيحكي على الناس . جاوبوه : الله يلعن اللي يخلي الناس يحكو عليه (الفصيح) :

مقالةُ السوء الى أهلها   اسرع من منحدر سائل

ومَن دعا الناس الى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

(العامي) هيّ ليلة يا مكاري — (الفصيح) : وان غداً لناظره قريب .

(العامي) ما كل من طقطق حاج — (الفصيح) : ما كل حمراء لحمة . ولا كل بيضاء شحمة .

(العامي) هادا عضم سمك مابينبلع - (الفصيح) : دون ذلك خرط القتاد (القتاد شوك او نوع معين منه . وخرطه هو ان تحاول بيدك نزع شوكات القضيب من قضبانه ماراً بها على اطراد من الجهة الامامية لا الجهة الخلفية) — او — أرى العنقاء تكبر أن تصادا .

(العامي) فلان شاطر يبرق من الزرد — (الفصيح) : فلان يعلم من أين تؤكل الكتف .

(العامي) دود الجبن منو وفيه — (الفصيح) : على أهلها جنت براقش (براقش اسم كلبة كان اصحابها هاربين من اعدائهم فنبحت فاستدل الاعداء على مكانهم وأدركوهم وقتلوهم) .

(العامي) الدجاجة ولو قطعوا منقارها . مابنبطل كارها — (الفصيح) :

بلوتُ الرجال وأفعالم فكلٌّ يعود الى عنصره

(العامي) أقول لك يا كنه · حتى تسمعي يا جاره — (الفصيح) :

اني وضربي سليكاً ثم اعقلهُ كالثور يُضرَبُ لما عافت البقرُ

(العامي) الحاجة الوسخة بدها مخباط كبير — (الفصيح) : لا يفل الحديد الا الحديد (او) ان الحديد بالحديد يُفلَح اي يُشق ·

(العامي) الخط الأعوج من الثور الكبير — (الفصيح) :

اذا كان ربُّ البيت بالدف مولعاً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

(العامي) اذا تضايقت الفرس بتلبط فلوها — (الفصيح) : لا تحرجوهم فتخرجوهم

(العامي) حلب ماهون · دراع ماهون ؟ — (الفصيح) ان يبغِ عليك قومك فلا يبغي عليك القمر ·

(العامي) كثرة الشد بترخي — (الفصيح) : لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر ·

(العامي) ما كل من صف الصواني قال انا حلواني — (الفصيح) :

ما كل من قال القوافي شاعراً هيهات يطعن كل من حمل القنا

(العامي) واحد مات جحشو · واحد شبع كلبو — (الفصيح) :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

* * *

وفي العامية شيءٌ كثير يقارب ما ذكرناه هنا بحيث يعتبر من قبيل الأمثال او من قبيل كناية اوتلميح او وجه آخر من اوجه المجاز · وربما كان اللفظ المجازي او العبارة المجازية مختصة بعادة او اصلاح فئة واحدة من العامة فهم يقولون (فلان بيتو بالقلعة · او : راكب ضهر حصانو) يريدون انه ذو مركز عزيز منيع · ويقولون (هو افلاطون زمانو) اشارة الى قوة عقله وسعة علمه · ويقولون (مطبخ بيت المطرجي) اي فخم عامر · و (وورتة بيت العظم) اي عظيمة مدهشة · ويقولون « خلصت حسنة برته » وبرته اسم قرية من قرى ومعظم أهلها مشايخ يتقاضون الزكاة

والصدقة الدينية من تباعهم · ويقولون (سموك مسحر خاص رمضان) اشارةً الى انتهاء امر او حالة · ويقولون : — وصل الموس لدقننا — غسلناه ومشطناه (اي اشبعناه توبيخاً) — حلقولو على الناشف — (اي آلمه او حمله خسارة) — قعدو على قوالبو (اي قمعه والزمه حده) — ويقولون — طلع نقبو على حجر — (اي اخفق مسعاه) — حط ايديه واجريه بمي بارده — (اي اطمأن قلبه) — اجتهم بنت — يريدون ان المرأة الحامل من قريباتهم ولدت بنتاً ويريدون بهذه الاستعارة انهم اغتموا واكمدّت وجوههم — ويقولون : — لموا الاراكيل — (اي استعدوا للبكاء) — ضاعت الطاسة — علق على الدبق الخ ·

وهكذا كان شأن العرب في كثير من كلامهم المجازي المبني على احوال معيشتهم وشيءٍ من حوادثهم واحاديثهم ومزاعمهم وخرافاتهم فهم يقولون :— ضرب اخماساً لاسداس — فتل له بالذروة والغارب — قلب له ظهر المجن — ان وراء الاكمة ما وراءها — ما وراءك يا عصام — ليس لي في الامر ناقة ولا جمل — عاد بخفي حنين — في كل واد بنو سعد — في كل واد اثر من ثعلبة — طارت به عنقاء مُغرب — الى آخر ما هنالك ·

وفي اللغة العامية — كما في الفصحى — قد ينقلون المعنى من تعميم الى تخصيص او من تخصيص الى تعميم فتقول العامة (هو آدمي) يريدون انه طيب السيرة محمود الخصال · خصصوه بذلك مع ان الآدمي هو الانسان مطلقاً كيفما كانت حاله واخلاقه · ويقولون (صفرت فلان) وقد يجعلون الصاد ظاء فيقولون (ظفر) ومعناه عندهم طرد ومعنى صفرَ في الفصيح اهان او جعل فلاناً صاغراً اي ذليلاً · ومعلوم ان الاهانة والاذلال اعم من الطرد فقد ينشأ عنها الطرد وغير الطرد كالضرب والسجن والشتم ونحو ذلك ويقولون (كرعت فلان) اي طاردته او اتبعت اثره · كأنهم يريدون انه تتبع كراعه وهو عظم ساقه · ويقولون (شاخ فلان على فلان) اي عامله كأنه شيخ عليه بالسلطة الاستبدادية والانتهار الشديد · وبديهي ان هذا اللفظ لم يكتسب عند العامة هذا المعنى الا بعد ان ضعفت السلطة الشورويّة في انحاء من الشرق الأدنى وحلت محلها السلطة المطلقة فظهر من المشايخ وغيرهم من الزعماء جبروت وطغيان في معاملة تباعهم ·

— الخاتمة —

بلغت الآن ختام البحث . وفي البحث على ما ارجوه وازعمه تبصرة بكثير من نواحي عربيتنا العامية وعربيتنا الفصحى . وقد تذكرت في أثناء معالجته ما جرى لي مع احد الاخوان . قال : ما بالكم انت وزملائك تنهكون اجسامكم وعقولكم وقلوبكم بموضوع العربية ولسانها وقوميتها فالأجدر بكم ان تستريحوا وتتركوا الأمور تجري في مجاريها ولا تحملوا السلم بالعرض . فلما سمعت كلامه اطرقت قليلاً وتبسمت . فقال لي : ما معنى اطراقك وابتسامك ؟ قلت : ذكرني كلامك براكب مركب نهج منهجك قال وما حكايته ؟ قلت : أشرف المركب الذي كان فيه على الغرق ورأى ركابه يسرعون في الذهاب والاياب مضطربين مذعورين . وقد اكمدت وجوههم . فسأل صديقاً له بينهم قائلاً : بربك ما الخبر وما دهاكم . فأجابه: ألا ترى المركب مشرفاً على الغرق فما بالك ناعداً هادئاً لا تبالي بشيء . فهز ذلك الفيلسوف رأسه متهكماً وقال بعاميته المعتادة : (يخرب بيتكم على هلجنون . شو المركب مركبنا ؟ ونحن دافعين حقو . يلعن ابوه وابو اصحابو ! وعلى تاسومتنا ان غرق ولا ما غرق !)

وهكذا شأن كل عربي لا يهتم بعربيته وعروبته بل يجهل او يتجاهل . ينسى او يتناسى انه يصيبه ما يصيب امته من سلامة او هلاك . عز او ذل . قوة او ضعف . فنسبته اليها نسبة راكب المركب الماخر عباب البحر الى المركب في مصيره . والسلام المستطاب . على تباع الحق والصواب !

اللاذقية — أدوار مرقص

مخطوطات ومطبوعات

رسالة الانوار

المقتبسة من اوار النار

لعبد المحسن بن حمود بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب

رسالة في ٣٩ ص من مخطوطات دار الكتب المصرية ومنها نسخة أُخذت بالتصوير الشمسي دخلت في خزانة المجمع العلمي العربي خلاصتها ان مؤلفها رحل من حلب الى دمشق في سنة ست وتسعين وخمس مائة فتلقاه شيب دمشق وشبانها وشعراؤها وكتابها وخطباؤها وحسابها بما حسن به عند نفس اغترابها وحمله اهلها من الكرامة ما حمله على اتخاذها دار اقامة وعاد الى بلده سنة ستمائة فاجتمع في مجلس من الادباء وجماعة الوزير نظام الدين ابي الحسين سبط جمال الدين بن الحصين وكان فيمن حضر من الادباء سالم بن سعادة الحمصي المقدم في زمانه على الشعراء واجتمعوا في دار فارس بن سنان الحلبي وكان من الشعراء المجيدين في عصره فأحضر لهم كانون من الصفر الاصفر فيه فحم ويخرج منه دخان فلفت عبد المحسن انظار الجماعة الى هذا المنظر منظر الكانون فأخذ الحاضرون يصفونه نظماً ونثراً فاستشهد صاحب المكان فارس بن سنان بقول ابن المعتز

كأنما النار في تلظيها والفحم من فوقها يغطيها

زنجية شبكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

وقال سالم بن سعادة ان ابلغ أقاويل الشعراء في نار الاصطلاء قول السري الرفاء

وذي أربع لا يطيق النهوض ولا يألف السير فيمن سرى

نُضمنه سبجاً أسوداً فيجعله ذهباً احمرا

واتى الثالث احمد اللآلاي على قول ابي بكر محمد وابي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين

ومُقعد لا حَراك ينهضه وهو على اربع قد انتصبا

مصفر محرق تنفسه تخاله العين عاشقاً وصبا
اذا نظمنا في جيده سبجاً صيره بعد ساعة ذهبا

وأورد الرابع قول ظاهر الحداء

كأن سواد الفحم من فوق جمرة وقد جمعا فاستحسن الضد بالضد
غدائر خود فرقتها وقد بدت على خفر من تحتها جمرة الخد

وأورد عبد المحسن شعر ابي الحسن علي بن وكيع

فحم أحضر الغلام الينا في كوانينه حياة النفوس
لقي النار في ثياب حداد فكسته مصبّغات عروس
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ثم نظم كل الحاضرين في هذا المعنى ومما نظمه عبد المحسن في الجلسة واستحسنه الجماعة قوله :

أتانا بكانون يشب اضطرامه كقلب محب او كصد حسود
كأن احمرار النار من تحت فحمها خدود عذارى في معاجر سود

الى آخر ما قيد المؤلف من شعره وشعر الحاضرين . وهو في منثوره سجاع عظيم على زي ذلك العصر . وفي آخر الرسالة ذكر من سمعها عن مؤلفها بتاريخ أربع وثلثين وستمائة .

محمد كرد علي

حياة مي

وصف الاستاذ محمد عبد الغني حسن حياة « مي » فتكلم على نشأتها وأشار الى نزعتها الشرقية على الرغم من اطلاعها على افكار الغرب ومذاهبه، فلم يفسد عليها هذا الاطلاع حرصها على لغتها القومية ، ولم يمنعها تعلقها بقومها عن التعلق بالأمم كافة فما سمعت وصف بلاد الا اشتاقت اليها ولا حدثوها بسالة أمة الا تمنت ان تكون

هذه الأمة أمتها فهي من هذه الناحية ترى العالم كله وطناً لها .

أما من ناحية دينها فلم يعرف عنها تهاون بأمر من أمورهذا الدين فقد كانت مؤمنة ملء قلبها وملء عقلها، ومع هذا فقد كانت ترى في الأديان كلها خيراً على العالم والانسانية .

ولقد احبت اللغة العربية على الرغم من نظمها الشعر بالفرنسية ، وشغلت نفسها بمسائل اللغة ومشكلاتها ويرى الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان لها أسلوباً خاصاً قائماً على انتقاء اللفظ الحسن الوقع وعلى التعبير السهل والوضوح والبعد عن التعمية فقد كان كلامها شعراً لا تقيده قافية ولا يغله وزن وكان لها في النقد طراز خاص وهو التهكم الا انه تهكم لا يجرح شعوراً ولا يؤذي حساً ولا يمس كرامة .

وقد فصل المؤلف الكلام على خطبها ومحاضراتها وعلى آرائها في الشعر العربي وفي الموسيقى فقد كانت شاعرة باحساسها وعواطفها وكان لها ولع بالتوقيع والتنغيم ، وقد عنيت بنهضة المرأة ولها في هذه السبيل مسعى جليل الشأن .

وختم هذه المباحث كلها بالكلام على منتداها الذي كان يتردد اليه العالم والاديب والوزير وأضاف الى هذه المباحث أحاديث عن مي صادرةً عن طائفةٍ من أفاضل مصر أمثال مصطفى عبد الرازق باشا وهدى هانم الشعراوي والدكتور طه حسين بك والاستاذ عباس محمود العقاد والسيدة ايمي خير والاستاذ انطون الجميل بك والدكتور منصور فهمي بك والاستاذ عبد القادر المازني والاستاذ خليل مطران بك فقد بحث فريق من هؤلاء الأفاضل عن نشوء الصلة بينهم وبين مي وعن رأيهم في نادي مي وعن أحاديثها في هذا النادي وعن تحصيلها العلوم وولعها بالمطالعة وبحث فريق آخر عن الآثار التي غادرتها في حركة المرأة في مصر وعن عزلتها وعن آثار كتبها في نفس كل واحد منهم وعن نواحي مي التي تعجبهم وعن كآبتها وبينوا آراءهم في كتابتها ومحاضراتها وأشاروا الى لطفها وكيسها ورقة حواشيها ويجد القارئ في هذه الاحاديث آراء طريفة في مي .

والخلاصة فانك لا تفرغ من قراءة «حياة مي» الا امتثلت نصب عينيك في مجامع نواحيها .

شفيق جبري

معجم الأطباء

من سنة ٦٥٠ الى يومنا هذا

ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء

لابن أبي أصيبعة

تأليف الدكتور أحمد عيسى بك

أتى الدكتور أحمد عيسى بك في مقدمة كتابه : معجم الاطباء ، على ذكر ماحفظته لنا العصور من الكتب المشتملة على تراجم الأطباء ، وقد تضمنت هذه الكتب تراجم الأطباء حتى النصف الأول من القرن السابع الهجري ، ومن بعد هذا التأريخ لم يصنف كتاب يشمل تراجم الأطباء كافة ، بل نجد هذه التراجم مبعثرة في كتب شتى ، ككتب التأريخ والطبقات والوفيات وغيرها ، من القرن السابع الهجري الى يومنا هذا .

فضل الدكتور في كتابه : معجم الأطباء انه رجع الى هذه الكتب كلها ، وجمع منها اكثر من تسعمائة ترجمة ، فنقلها من مصادرها كما وردت فيها ، ونبه على الأصل المنقولة منه ، ولم يقتصر على تدوين الأطباء من عهد وفاة ابن أبي اصيبعة بل نقل ماعثر عليه من تراجم الأطباء الذين تقدموا ابن ابي أصيبعة ممن فاته ذكرهم او اكتفى بذكر اسمائهم ، فكان كتابه : معجم الأطباء ذيلاً لكتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة .

لا يخفى على القارئ الكريم مبلغ المجهود الذي بذله الدكتور في اتمام كتابه الجليل ، فان تراجم الأطباء اصبحت بفضل هذا الكتاب سلسلة متصلة الحلق ، واذا احتاجت تراجم الأطباء كافة ، سواء أدونها الدكتور ام دونها القدماء ، الى شيء يتممها ، فالذنب ليس بذنب الدكتور ، وانما هو ذنب أساليب التأليف القديمة ، انا نطالع ترجمة طبيب ، أو تراجم أطباء كثيرين ، فلا نرى فيها شيئاً من أساليبهم في المداواة ، أو من اختراعاتهم ؛ وبسبب قلة هذه المعرفة لا نستطيع ان نقف على اطراد الطب العربي ، كيف كان في أول امره ، وما هي الأطوار التي تقلب فيها حتى وصل الى حالته يومنا هذا .

واليك مثلاً :

كان شبرماه الديلمي طبيباً للحافظ لدين الله الفاطمي ، قيل ان الحافظ كان يشكو ألم القولنج ، فصنع له الحكيم شبرماه طبل باز من المعادن السبعة وهو مرصود في وقت معلوم ، فكان من خصائص هذا الطبل اذا ضرب عليه أحد ان تخرج منه ريح وهذه الفائدة كانت لدفع ألم القولنج .

ففي هذه الترجمة ذكر اختراع من قبل الحكيم شبرماه ، فاذا قوبل بين معالجة القولنج قبل عصر شبرماه الديلمي وبين معالجته بعد عصره استطعنا ان نعرف اطوار مداواة القولنج ، واذا جمعت أطوار مداواة كل داء عرفت سلسلة الطب العربي من بدء نشأته حتى عصرنا هذا ، أما ذكر التراجم على النحو الذي ذكرت عليه في كتبنا فليس فيها فائدة الا حصر أسماء الاطباء ومعرفة أشياء يسيرة عنهم .

ما احسن ما ذكر في ترجمة علي بن أبي الحزم ، فمن أساليب هذا الحكيم انه لا يصف دواء ما امكنه ان يصف غذاء ، ولا مركباً ما امكنه الاستغناء بمفرد وكان ربما وصف القمحية لمن شكا القرحة ، والتطماج لمن شكا هواء والخروب والقضامة لمن شكا اسهالاً .

فهذا الذي تهمنا معرفته في تراجم الأطباء ، ولكن اذا فاتتنا هذه الأمور فلا يجوز لنا ان نغفل عن شكر الدكتور احمد عيسى بك ، فان كتابه جليل الفائدة ولا شك .

شفيق جبري

مباحث عربية

تأليف الدكتور بشر فارس

تكلم الدكتور بشر فارس في مباحثه العربية على أمور شتى ، في اللغة والاجتماع ، فوصف يسيراً من حالة المسلمين في فنلندة وتصدّى لموضوع من أجل الموضوعات في اللغة ، فقد بحث عن مكارم الاخلاق والمروءة والتفرد والتماسك عند العرب والبناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية وتأريخ لفظة الشرف وكان مقصده في هذه المباحث

بيان الأطوار التي تقلبت فيها هذه الألفاظ سواء أكانت هذه الأطوار حسية أم كانت معنوية ٠

كان في بعض مباحثه يستقصي في ذكر تأريخ لفظ من الألفاظ ، مثل لفظ الشرف ، أو في ذكر قصة هذا اللفظ كما قال اذ انه لم يستوعب كل شيء من تأريخه ، فيبحث عن معاني هذه الكلمة على توالي العصور ، كيف كان معنى الشرف مثلاً في نظر ابن قتيبة او في نظر الحصري صاحب زهر الآداب ، ثم يحاول ان يتعقب مدلولات هذه الكلمة وان يردها الى أصلها او الى فرع من فروع هذا الأصل ، فيمعن في الجاهلية ثم في الاسلام ويفتش عن معناها الحسي ، ثم يفتش عن انتقالها من الحس الى المعنى ، فيوضح بعض الأطوار التي دخلت فيها هذه الكلمة على ممر السنين ٠

قلت مرات كثيرة لا أعرف باباً في اللغة يجمع من اللذة ما يجمعه مثل هذا الباب ، فليس بقليل ان نعرف تأريخ الألفاظ العربية ، فنعرف تطور هذه الألفاظ ، كيف ولدت وكيف نشأت وكيف عاشت او ماتت ، وليس بقليل ان نعرف كيف كان معنى لفظ من الألفاظ في عصر من العصور ثم الى أي معنى انتقل هذا اللفظ على تراخي الأحقاب ، وللألفاظ حياة تشبه حياة النبات والحيوان ، ففيها قانون الانتخاب الطبيعي وفيها قانون التطور وأشباه هذه القوانين ٠

لنأخذ لفظة عصابة مثلاً ، ان هذه اللفظة كانت في عصر حسان بن ثابت مقرونة بالملوك ومن هم في طبقتهم ، وقوله : لله در عصابة نادمتهم ٠٠٠ مشهور ، الا انها انحدرت على الأيام والسنين من السماء العالية التي كانت تعيش فيها الى الأرض السافلة ، أرض اللصوص ، فلا يقال في عصرنا هذا : عصابة ، الا سبق الفكر الى اللصوص ، فبعد ان كان يقال : عصابة ملوك ، أصبح يقال في صحفنا وفي مجالسنا : عصابة لصوص ! ٠

هذا نمط من أنماط تطور اللغة الا أن أمثال هذه المباحث غير سهلة الاكتناف ، انها تحتاج الى زمن مديد ، والى مطالعات كثيرة ، فهي من أعمال جماعات أو جامعات ، وأظن أن الجامعة العبرية في القدس تقوم بمثل هذا العمل من سنين ،

فان أساتيذها يجمعون تأريخ الألفاظ العربية ، ولا أدري الى أين وصلوا ، فاذا فرغوا من مثل هذا العمل ، فيسهل علينا حينئذ ان نرجع الى لفظ من الألفاظ فنشهد الأطوار التي تقلب فيها هذا اللفظ ، ونشهد من وراء هذه الأطوار تقلبات الأفكار والأخلاق وغيرهما .

وكيف كان الأمر فان مباحث الدكتور بشر فارس فيها شيء كثير من الطرافة .

شفيق جبري

هدية كتب

(في تصحيح عقيدة)

أهدى هذه الهدية الى مكتبة مجمعنا العلمي وجيه الحجاز وفاضلها السيد محمد نصيف . ولما أردنا أن نصف المهدي بأنه صديق المجمع رأينا الأجدر والأعلق بالصواب ان نصفه بأنه صديق كل مجمع علمي ولجنة علمية وعالم ومؤرخ وناشر كتب وكل ساع الى الخير في مصلحة العرب والمسلمين : فهو يعضد هؤلاء كلهم بوقته وماله ونفوذه . والكتب التي أهداها تبلغ اثنى عشر كتاباً . نسردها أولاً ثم نعلق بكلمة منا على موضوعها الذي هو (التوحيد)

[١] الصراع بين الاسلام والوثنية مجلدان أول وثان تأليف عبد الله علي القصيمي طبع في مطبعة السعادة في مصر سنتي ١٣٥٦ و ١٣٥٧ ﻫ

[٢] صيانة الانسان في وسواس الشيخ دحلان تأليف الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي المتوفى سنة ١٣٢٦ ﻫ طبع أولاً في الهند ونسب الى غيره لأمر ما وهذه طبعته الثانية في مطبعة المنار سنة ١٣٥١ ﻫ

[٣] شرح الطحاوية في العقيدة السلفية طبع على نفقة جلالة الملك ابن سعود في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ ﻫ وجعل جلالته هذا الشرح وقفاً لله تعالى

[٤] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفى سنة ١٢٨٥ ﻫ وقد طبع على نفقة وزير مالية المملكة السعودية معالي

فان أساتيذها يجمعون تأريخ الألفاظ العربية ، ولا أدري الى أين وصلوا ، فاذا فرغوا من مثل هذا العمل ، فيسهل علينا حينئذ ان نرجع الى لفظ من الألفاظ فنشهد الأطوار التي تقلب فيها هذا اللفظ ، ونشهد من وراء هذه الأطوار تقلبات الأفكار والأخلاق وغيرهما .

وكيف كان الأمر فان مباحث الدكتور بشر فارس فيها شيء كثير من الطرافة .

شفيق جبري

هدية كتب

(في تصحيح عقيدة)

أهدى هذه الهدية الى مكتبة مجمعنا العلمي وجيه الحجاز وفاضلها السيد محمد نصيف . ولما أردنا أن نصف المهدي بأنه صديق المجمع رأينا الأجدر والأعلق بالصواب ان نصفه بأنه صديق كل مجمع علمي ولجنة علمية وعالم ومؤرخ وناشر كتب وكل ساع الى الخير في مصلحة العرب والمسلمين : فهو يعضد هؤلاء كلهم بوقته وماله ونفوذه . والكتب التي أهداها تبلغ اثنى عشر كتاباً . نسردها أولاً ثم نعلق بكلمة منا على موضوعها الذي هو (التوحيد)

[١] الصراع بين الاسلام والوثنية مجلدان أول وثان تأليف عبد الله علي القصيمي طبع في مطبعة السعادة في مصر سنتي ١٣٥٦ و ١٣٥٧ هـ

[٢] صيانة الانسان في وسواس الشيخ دحلان تأليف الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ طبع أولاً في الهند ونسب الى غيره لأمر ما وهذه طبعته الثانية في مطبعة المنار سنة ١٣٥١ هـ

[٣] شرح الطحاوية في العقيدة السلفية طبع على نفقة جلالة الملك ابن سعود في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ وجعل جلالته هذا الشرح وقفاً لله تعالى

[٤] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ وقد طبع على نفقة وزير مالية المملكة السعودية معالي

الشيخ عبد الله بن سليمان الحمداني · طبعة ثالثة بمطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٥٧ هـ

[٥] مجموعة التوحيد النجدية طبع على نفقة صاحب الجلالة ابن سعود بتصحيح صاحب المنار وطبع في مطبعته سنة ١٣٤٦ هـ

[٦] عنوان المجد في تاريخ نجد تأليف عثمان بن بشر النجدي طبع في المطبعة السلفية [فرع مكة] سنة ١٣٤٩هـ على نفقة كل من السيد محمد نصيف وصاحب المطبعة · والكتاب جزآن أول وثان

[٧] الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة [مجلدان] تأليف ابن قيم الجوزية اختصره الشيخ محمد بن الموصلي وطبع في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٨ هـ على نفقة جلالة الملك ابن سعود ·

[٨] تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري تأليف ابن تيمية ومعه كتاب الرد على الاخنائي لابن تيمية ايضاً · والكتابان طبعا على نفقة جلالة الملك ابن سعود في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٦هـ

[٩] كتاب مالا بد منه في أمور الدين على طريقة السلف تأليف الشيخ ابي بكر خوقير طبع في مطبعة التمدن سنة ١٣٣٢ هـ

[١٠] الكوثري وتعليقاته بقلم السيد محمد نصيف : وهو مقال كانت نشرته مجلة الرابطة العربية بمصر في عدديها المؤرخين في ١ و ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ هـ وجاء محرفاً وساقطاً منه بعض سطور لذا أعيد طبعه في مطبعة الفقيه في مصر والرسالة في الرد على [الشيخ زاهد الكوثري الجركسي] نزيل مصر — في ما يتعلق بصفات الله تعالى · والشيخ زاهد نعرفه في دمشق ثم مصر وهو من علماء الترك وقد فر من بلاده بدينه الي مصر · وكنا نتمنى من السيد محمد نصيف وهو المسلم الحصيف ان يكون أخف وطأة وألين لهجة في مخاطبة ذلك الشيخ الفاضل · لكن يؤاخذ الاستاذ الكوثري بتهمته لابن تيمية باخراج الملك السنّي (خدابنده) وقومه من مذهب السنة ، مع تصريح مؤرخي الشيعة بأن سبب تشيعه كان مسألة شخصية : وهي كونه طلق

زوجه ثلاثاً فأفتاه بعض فقهاء عصره بالمحلل الذي لعنه الرسول (ص) وسماه التيس المستعار ، ثم عرض (أي خدابنده) قضيته على ابن المطهر الحلي الشيعي بايعاز من بعض معارفه، فردها اليه بلا محلل ، فكان هذا سبب تشيعه هو وقومه ، كما تراه في رسالة الاستاذ نصيف (ص ١٨) نقلاً عن مؤرخي الشيعة انفسهم ، ولو اهتدى خدابنده الى الامام المصلح ابن تيمية لأفتاه بما تقر به عيناه ، ولتراجع هذه القصة فان فيها عظة وعبرة .

ويدرك القارئ وهو يتصفح هذه الكتب المهداة الى المجمع أنها كلها تدور حول اثبات موضوع واحد وهو عدم جواز الاستعانة بغير الله من أهل القبور ومن الأحياء أيضاً اذا كان المستعان عليه مما لا يقدر على فعله والاجابة اليه الا الله تعالى : رأت امرأة عجوز أبا حامد الغزالي منهمكاً في تأليف كتاب ضخم فسألته ما هذا ؟ قال كتاب أؤلفه في إثبات وجود الله ووحدانيته . فأنغضت رأسها وأجابته ان فتلة مغزلي هذا تدل على وجوده تعالى ووحدانيته . ونحن نقول لمؤلفي هذه الكتب غير منكرين فضلهم وغيرتهم على العقائد الاسلامية : إن آية واحدة من كتاب الله تدل على عدم جواز الاستعانة بغيره ولا الطلب من غيره وهو قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وجاء الحديث الشريف مؤيداً لمضمون هذه الآية وهو قوله صلى الله عليه وسلم (اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله)

المغربي

مخطوطات نادرة

أسست خزانة شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة المنورة في سنة ١٢٦٠ وكان فيها يوم وقفها واقفها رحمه الله من الكتب في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية خمسة آلاف ومئة وثلاثون مجلداً وزادت بعد ذلك زيادة قليلة وليست مكانة هذه الخزانة بكثرة مجلداتها بل بالأمهات والنوادر من المخطوطات التي حوتها . ولما زرتها في سنة ١٩١٢ م رأيت بها انتظاماً واتقاناً قلّ ان كان يعهد وارجو الا تكون نكبة المدينة في الحرب العامة أضرت بهذه الخزانة النفيسة . ومن جملة ما فيها من النوادر [١] الكشف على الكشاف في التفسير [٢]

زوجه ثلاثاً فأفتاه بعض فقهاء عصره بالمحلل الذي لعنه الرسول (ص) وسماه التيس المستعار ، ثم عرض (أي خدابنده) قضيته على ابن المطهر الحلي الشيعي بايعاز من بعض معارفه، فردها اليه بلا محلل ، فكان هذا سبب تشيعه هو وقومه ، كما تراه في رسالة الاستاذ نصيف (ص ١٨) نقلاً عن مؤرخي الشيعة انفسهم ، ولو اهتدى خدابنده الى الامام المصلح ابن تيمية لأفتاه بما تقر به عيناه ، ولتراجع هذه القصة فان فيها عظة وعبرة .

ويدرك القارئ وهو يتصفح هذه الكتب المهداة الى المجمع أنها كلها تدور حول اثبات موضوع واحد وهو عدم جواز الاستعانة بغير الله من أهل القبور ومن الأحياء أيضاً اذا كان المستعان عليه مما لا يقدر على فعله والاجابة اليه الا الله تعالى : رأت امرأة عجوز أبا حامد الغزالي منهمكاً في تأليف كتاب ضخم فسألته ما هذا ؟ قال كتاب أؤلفه في إثبات وجود الله ووحدانيته . فأنغضت رأسها وأجابته ان فتلة مغزلي هذا تدل على وجوده تعالى ووحدانيته . ونحن نقول لمؤلفي هذه الكتب غير منكرين فضلهم وغيرتهم على العقائد الاسلامية : إن آية واحدة من كتاب الله تدل على عدم جواز الاستعانة بغيره ولا الطلب من غيره وهو قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وجاء الحديث الشريف مؤيداً لمضمون هذه الآية وهو قوله صلى الله عليه وسلم (اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله)

المغربي

مخطوطات نادرة

أسست خزانة شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة المنورة في سنة ١٢٦٠ وكان فيها يوم وقفها واقفها رحمه الله من الكتب في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية خمسة آلاف ومئة وثلاثون مجلداً وزادت بعد ذلك زيادة قليلة وليست مكانة هذه الخزانة بكثرة مجلداتها بل بالأمهات والنوادر من المخطوطات التي حوتها . ولما زرتها في سنة ١٩١٢ م رأيت بها انتظاماً واتقاناً قلّ ان كان بعهد وارجو الا تكون نكبة المدينة في الحرب العامة أضرت بهذه الخزانة النفيسة . ومن جملة ما فيها من النوادر [١] الكشف على الكشاف في التفسير [٢]

تقويم الابدان لابن جزلة كتب سنة ٢٩٧ ﻫ [٣] غريب الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلام (كتب سنة ٥٤٦) [٤] الغريب المصنف له [٥] الاجناس من كلام العرب وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لأبي عبيد القاسم بن سلام أيضاً [٦] محاورات السيوطي بخط يده [٧] رسالة وقصائد للجاحظ [٨] مجموع من كتب البيهقي [٩] مصارع المصارع لنصير الدين الطوسي [١٠] أسماء الصحابة لابن حبان البستي [١١] رسالة فيمن نسب الى أمه من الشعراء لابن جني . [١٢] الابانة لأبي الحسن الأشعري [١٣] مكارم الاخلاق للثعالبي [١٤] أوصاف الأشراف للنصير الطوسي [١٥] مختلف الاسماء والانساب والكنى والألقاب للذهبي [١٦] الزبد والضرب في تاريخ حلب لرضي الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي الحلبي [١٧] طبقات القراء لمحمد بن سلام الجمحي [١٨] التشبيهات لأبي اسحاق البغدادي (كتب سنة ٤٦٦) [١٩] التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري [٢٠] الجواهر الثمينة في محاسن المدينة لمحمد كبريت [٢١] غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان اختصار يحيى بن أبي بكر العامري من تاريخ الامام أسعد اليافعي وهو مرتب على السنين فيه الوقائع وتراجم المشاهير الى سنة ٧٥٠ [٢٢] البرق المتألق في محاسن جلق للراعي الشهير بابن خداويردي [٢٣] النجوم الزواهر في معرفة الأواخر للبودي الدمشقي [٢٤] مخدرات القصور في تاريخ أهل العصور تأليف ابن قطري البحيري المؤرخ المصري المتوفى سنه ٨٩٨ وهو مختصر في التاريخ .

وأسست دار الكتب الظاهرية بدمشق في سنة ١٢٩٤ ﻫ وفيها اليوم .

[١] نقائض جرير والأخطل لأبي تمام [٢] المدبجات لعبد المنعم الجلياني [٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨٨٥ ﻫ) [٤] أدب الملوك لعبد المنعم ابن عمر الاندلسي [٥] طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة (٨٥١) ومعه مختصر طبقات النحاة للمحلي [٦] منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ليحيى بن عيسى الكاتب (٤٩٣ ﻫ) في الطب [٧] مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧) في الحديث [٨] إنباء الغمر بابناء العمر لابن حجر العسقلاني (بخط المؤلف) [٩] اجزاء من عيون التواريخ للصلاح الكتبي [١٠] ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (المجلد العاشر) [١١] الاشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي ، (الجزء الأول)

[١٢] ديوان خالد الكاتب المتوفى في حدود السبعين والمائتين [١٣] ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب وصل به الى سنة ٧٥٠ [١٤] الكواكب الدراري في تبويب مسند الامام أحمد على ابواب البخاري لابن عروة الحنبلي من أهل القرن التاسع وجد منه نحو ثمانين مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد المئة ويظن ان الكتاب بلغ نحو مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والأدب [١٥] الرسالة الجامعة لمسلمة بن احمد المجريطي القرطبي (٣٩٥) (في الفلسفة) [١٦] غريب القرآن لابن قتيبة [١٧] الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة للنجم الغزي وذيله للمؤلف نفسه [١٨] عقد الجمان للشطيبي [١٩] الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري لابن العديم [٢٠] ثمار المقاصد في ذكر المساجد والاعانات في معرفة الخانات وعدة الملات في تعداد الحمامات وفهرست الكتب الموقوفة : كلها رسائل في تاريخ عمران دمشق ليوسف بن عبد الهادي (٩٠٩) [٢١] قاموس الأطباء وناموس الألباء تأليف مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (كان حياً سنة ١٠٤٤) [٢٢] شرح ايضاح ابي علي الفارسي في النحو والصرف (٣٧٧) والشرح لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١) [٢٣] مجموعة فيها ٢٣ رسالة كتبت سنة ١٢٢٤ ه منها أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لمحمد بن علي بن طولون ورسالة أبي بكر الصديق مع ابي عبيدة الى علي بن أبي طالب بشأن البيعة ووصية الامام ابي حنيفة لابنه حماد ورسائل سياسية كفرمان الامير علي بك قائم مقام مصر الى اهل دمشق وكتاب احمد باشا الجزار وثلاثة كتب من أبي الذهب ومراسلات ومناشير تتعلق بحملة نابوليون على مصر والشام ومناظرة بين علماء السنة والشيعة [٢٤] نظم درة الغواص للحريري يظن أنها للسراج الوراق كتبها سنة ٩٨٠ [٢٥] مجموعة فيها رسالة لغوية وأدبية منها معاني الشعر للاشناندانى (طبع) وأبيات لابن المعتز وأشعار لوجيه الدولة بن حمدان وعلي بن محمد بن بسام . [٢٦] حصول الرفق بأصول الرزق للسيوطي [٢٧] قانون البلاغة لأبي طاهر محمد بن حيدر (٥١٧) [٢٨] المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي (الجزء الخامس فقط)

محمد كردعلي

آراء وأنباء

كتاب البيزرة

وكشاجم والخالديان

بعد ان أنشأ الاستاذ رئيس المجمع مقاله المنشور في هذا العدد من المجلة بعنوان «كتاب البيزرة» ، تلطف فعهد الي بمتابعة البحث عن مؤلف هذا الكتاب ، دأبه في بحثه ، يأبى عليه حبه للعلم واخلاصه له الا ان يشجع الباحثين على الاستدراك على أقواله .

وجدنا ونحن نستعرض كتاب البيزرة في طائفة من أهل العلم أبياتاً نسبها المؤلف الى نفسه ، فقال: [1] ولي في نحو هذا المعنى ، وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير ...

سلام على دير القصير وسفحه فجنات حلوان الى النخلات
منازل كانت لي بهن مآرب وكن مواخيري ومتنزهاتي

الى آخر الأبيات وهي تسعة . واذا بأربعة منها في معجم البلدان لياقوت [2] منسوبة الى كشاجم ، وثمانية في ديوان هذا الشاعر [3] وقد زيد عليها اثنان لم يردا في الكتاب . واذا بالباحث يخرج من ذلك ، وهو يذهب الى أن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم ، ويزداد يقيناً حينما يرى المتقدمين ذكروا له كتاباً بهذا الاسم [4] وحضوا على اقتنائه ، وحينما يرى الاستاذ بروكلمن يذكر منه نسخة [5] مخلدة في خزائن الكتب ، حتى اذا عمد الباحث الى ترجمة هذا الشاعر ، ليطرد ما قد يلازمه من الشك في اتفاق عصر المؤلف لعصره توقف يتروى ، فكشاجم وهو محمود بن الحسين (او محمود بن محمد بن الحسين) الكاتب ظل تاريخ وفاته موضع

(١) ص ٦٦ من الكتاب (٢) ٢ ـ ٦٨٦ (٣) المطبعة الانسية ص ١٩ (٤) سر العالمين المنسوب الى الغزالي ، طبعة بندر بومبي ص ٢٢ ومطبعة السعادة ص ٢٥ (٥) غوطه رقم ٢٠٩١ : بروكلمن ١ ـ ٨٥

الاختلاف بين المؤرخين ، فمن قائل انه توفي سنة ٣٣٠[1] ومن قائل سنة ٣٥٠[2] ومن قائل سنة ٣٦٠[3] ومن متردد بين احدى هتين السنتين الاخيرتين ، لايدري بأيتهما يأخذ[4] ومن قائل حوالا سنة ٣٦٠[5] ومن متحير دفعته حيرته الى السكوت[6]

ويبدو للباحث أن اختلاف المؤرخين يطلق له الحرية في اعتبار المائة الرابعة عصر الرجل ، مات في سنة من سنيها ؛ ويطمئنه ذلك على صحة مااعتقد به ، من نسبة البيزرة اليه ، فانه يجد في هذا الكتاب[7] ما يشير الى أن المؤلف صنف كتابه في عصر العزيز الفاطمي (٣٦٥ — ٣٨٦) . ولكنه يقف حائراً حين يذكر انه رأى في ترجمة كشاجم انه كان من شعراء ابي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ، ورد معه الموصل لما وليه في سنة ٣١٣[8] وان ديوانه يتضمن مدحه للاخفش المتوفى سنة ٣١٥[9] ، ولكن حيرته لا تدوم طويلاً ، فهي تنقلب الى أبدُ ماذهب اليه ، فهل يعقل ان يكون كشاجم شاعراً لأمير الا بعد العشرين من العمر ، واذا كان ذلك ، أفلا يجب أن يكون عمره حين تولى العزيز الخلافة الفاطمية سنة ٣٦٥ أكثر من اثنتين وسبعين سنة ، وبديهي ألا يتخذه الخليفة رئيساً لبيازرته بعد مجاوزته هذا السن ، فهي رتبة تقتضي النشاط وخفة الحواس مما لايتهيأ لشيخ طال عليه العمر

ولكن كيف ينفي الباحث نسبة الأبيات الى هذا الشاعر ، وهي موجودة في ديوانه تقضي بما تقضي به . انه يفيد مما ذكر ابن خلكان في ترجمة السري الرفاء ، حيث قال : وكان السري مغرى بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم الشاعر الشهير المشهور وهو اذ ذاك ريحان الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قالبه

---

(١) ديوانه ص ٣ (٢) عيون التواريخ ، نسخة الظاهرية تاريخ ٤٨ ، ١١٠ ، كشف الظنون في كلمة طرديات ، فهرس كتبخانه ولي الدين رقم ٢٥٩٢ ، الاعلام للزركلي ١٠١٨
(٣) شذرات الذهب ٣ — ٣٨ (٤) بروكلمن ١ — ٨٥ ، سركيس في معجم المطبوعات ١٥٦٠
(٥) جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٢ — ٣٥١ (٦) ابن عساكر في تاريخ دمشق نسخة الظاهرية تاريخ ٢٤ ، ٤٥٤ السيوطي في حسن المحاضرة ١ — ٣٢٢ ولعل صاحب الفهرست ١٣٩ سكت لأنه لم ينته اليه شيء من ذلك (٧) ص ٤ وغيرها (٨) عيون التواريخ ، ١١٠ (٩) ص ١٥ و ٢١

يضرب ؛ فكان يدس فيما كتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ، ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويعلي شعره ، ويشنع بذلك عليهما ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ؛ فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الاصول المشهورة [1]

وبعد فاذا صح ان كتاب البيزرة ليس لكشاجم ، وان صاحب كتاب البيزرة له أبيات ذكرت في ديوان هذا الشاعر ، وان بعض نسخ هذا الديوان حوت أشعاراً للخالديين ، اذا صح ذلك — وقد ثبت — فالنتيجة المنطقية ان هذه القصيدة هي لأحد الخالديين ، وان كتاب البيزرة لمن قالها منهما

واذا نظرنا في ترجمة هذين الشاعرين لم نر ما يحول دون نسبة الكتاب الى أحدهما ، فقد صنفا في ضروب الأدب ، وتوفي أحدهما وهو محمد بن هاشم بن وعلة سنة ٣٨٠ [2] وسعيد بن هاشم سنة ٣٩٠ [3] وفي هذين التاريخين موافقة لزمن تأليف الكتاب ، وأقربها وفاة سعيد ويقلب الباحث كتاب البيزرة ، وهو مرتاح الى النتيجة التي أفضى اليها ، واذا به يجد نصاً يهدد بالقضاء عليها وهاكه [4] :

«وقد كان مؤلف هذا الكتاب في جملة البيازرة ، متقدماً عليهم لافي جملة واحد منهم ؛ لا يحسن شيئاً من البيزرة ؛ ثم أفرده أمير المؤمنين صلى الله عليه عنهم ؛ وله من العمر احدى عشرة سنة وعلمه ، وهو لا يملك عشرة دراهم ، وعليه ثوب بردة ، وخرج في صناعته الى ما قد شاهده الناس وعرفوه ، ورقى أمير المؤمنين صلى الله عليه منزلته الخ»
وهو خبر يخالف ما روي عن الخالديين من نشأتهما في كنف سيف الدولة ، ولكن على الباحث ان لا يعجل في الحكم ، فلينظر الى هذا النص وأين ورد يجده أضيف ذيلاً على الكتاب بعد قول المؤلف : « تم الكتاب والحمد لله رب العالمين » ؛ أضيف في باب جديد ترجم « بباب النفقة على البيازرة وما يصل من أموال أمير المؤمنين اليهم في كل سنة » . ومن ثم فلينظر في النص أفلا يراه مضطرباً متناقضاً ، يذكر ان المؤلف كان متقدماً في جملة البيازرة قبل الحادية عشرة من عمره ، ثم أفرده الخليفة

(١) وفيات الاعيان ١ ـ ٢٠١ وعنه في البداية لابن كثير ١١ ـ ٢٧٢ (٢) عيون التواريخ ٢١٢ (٣) عيون التواريخ ٢٥٩ (٤) ص ٣٠١

حين بلغ هذا السن ، أفرأيت غلاماً يتقدم البيازرة وعمره أحدى عشرة سنة ، ثم اذا كان ذلك هل يستقيم لديك انه مع تقدمه عليهم لم يكن يملك عشرة دراهم . إن هذا النص إن هو الا يدلل على نفسه بالوضع ، ذيله على الكتاب متحمس للفاطميين لا يحسن التلفيق .

وكذلك يعود الباحث الى فكرة نسبة الكتاب الى أحد الخالديين وقد يرى في قول صاحب الكتاب « لزمت الصيد مدة مبلغها عشرون سنة الى ان صنفت كتابي هذا في علم البيزرة »[١] ما ينير له السبيل ، فيقول لعل أحد الخالديين ترك قصر سيف الدولة ، والتجأ الى الفاطميين حين أسسوا الملك في مصر ، فأقام عندهم وعني بالصيد فبرع به ، وأصبح صاحب البيزرة عندهم

وكل هذا وجوه في الرأي لا دليل يجزم بأنها قاطعة مانعة ، والزمان كفيل بكشف الحقائق

يوسف العش

تحقيق مسألة تاريخية

ابتليت بطون بعض التواريخ بأمراض من الأراجيف وانها لبلية كبرى على من لم يكن له باع مديد في تمييز الخبيث من الطيب . فحذار أيها السائر تحت لواء الحق اذا غطشت ليلها أمامك ان تفتتن بها فتوناً سيما ما يعزونه الى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه استناداً الى روايات تتصل بأقوام يلمزونه بها لحاجة في أنفسهم قضوها . منها قولهم ازعاج ابي ذر من الشام حين غير على معاوية المنكر واجلاه الى الربذة ، قلنا ما أتى معاوية منكراً يغير عليه وانما كان ابو ذر على طريقة من الزهد لا تمكن لجميع الخلق وكان يقرع عمال عثمان ويتلوا عليهم « والذين يكنزون الذهب والفضة » الآية ويراهم يتسعون في الملابس والمراكب

(١) ص ١٠٩

حين بلغ هذا السن ، أفرأيت غلاماً يتقدم البيازرة وعمره أحدى عشرة سنة ، ثم اذا كان ذلك هل يستقيم لديك انه مع تقدمه عليهم لم يكن يملك عشرة دراهم . إن هذا النص إن هو الا يدلل على نفسه بالوضع ، ذيله على الكتاب متحمس للفاطميين لا يحسن التلفيق .

وكذلك يعود الباحث الى فكرة نسبة الكتاب الى أحد الخالديين وقد يرى في قول صاحب الكتاب « لزمت الصيد مدة مبلغها عشرون سنة الى ان صنفت كتابي هذا في علم البيزرة »[1] ما ينير له السبيل ، فيقول لعل أحد الخالديين ترك قصر سيف الدولة ، والتجأ الى الفاطميين حين أسسوا الملك في مصر ، فأقام عندهم وعني بالصيد فبرع به ، وأصبح صاحب البيزرة عندهم

وكل هذا وجوه في الرأي لا دليل يجزم بأنها قاطعة مانعة ، والزمان كفيل بكشف الحقائق

يوسف العش

تحقيق مسألة تاريخية

ابتليت بطون بعض التواريخ بأمراض من الأراجيف وانها لبلية كبرى على من لم يكن له باع مديد في تمييز الخبيث من الطيب . فحذار أيها السائر تحت لواء الحق اذا غطشت ليلها أمامك ان تفتتن بها فتوناً سيما ما يعزونه الى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه استناداً الى روايات تتصل بأقوام يلمزونه بها لحاجة في أنفسهم قضوها . منها قولهم ازعاج ابي ذر من الشام حين غير على معاوية المنكر واجلاه الى الربذة ، قلنا ما أتى معاوية منكراً يغير عليه وانما كان ابو ذر على طريقة من الزهد لا تمكن لجميع الخلق وكان يقرع عمال عثمان ويتلوا عليهم « والذين يكنزون الذهب والفضة » الآية ويراهم يتسعون في الملابس والمراكب

(١) ص ١٠٩

فينكر ذلك عليهم ويدعوهم الى تفريقه ، في وجوه البر وهو غير لازم لهم لأن ما أديت زكاته ليس بكنز فخشي معاوية من أن تثور من العامة فتنة اذ كان ابو ذر يأمرهم من الزهد بما لا يحتمله الناس كلهم وانما يقوى عليه بعضهم ورفع الأمر الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فاسترده الى مجاورته بالمدينة فاجتمع اليه الناس وجعل يسلك بهم ذلك الطريق فقال عثمان لو اعتزلت ؟ معناه ان من كان على هذا المذهب فحاله ينبغي ان ينفرد بنفسه ولا يخالط ويسلم لكل احد حاله مما ليس بحرام من الشريعة فخرج الى الربذة زاهداً فاضلاً وترك أجلة فضلاء وكل أوتي حكماً وعلماً وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين .

ومنها قولهم ضرب عماراً وابن مسعود ومنعه عطاءه . قلنا هذا باطل سنداً ومتناً ولا يلتجىء الى الاعتذار عنه وان تشاغل به بعضهم لأن الروايات المختلفة ليس لها حد تنتهي اليه فالاشتغال بتأويلاتها لا يسعه العمر الذي له اجل مسمى . ومنها قولهم رد الحكم بعد ان نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلنا كان قال لأبي بكر وعمر اني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده فسمح به ثم مات فطلبا منه الشهادة فلم يجدها فلما ولي قضى بعلمه ، وقضاء الحاكم بعلمه له أصل في الشريعة وانما تردد فيه الناس من بعدُ لما حدث من التهمة قالوا وصله بمال الله . قلنا وصله بماله وكان من أغنياء الصحابة وذلك مستحب . ومنها قولهم عزل عمر بن العاص وولى عبد الله بن أبي سرح . قلنا الولاية موكول أمرها الى الاجتهاد وقد عزل عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص وقدم أقل منه درجة وكان عبد الله بن أبي سرح ممن يناط بعهدته مقاليد الأمور ولهذا فتح الفتوح في بحر المغرب وبره ورضي عنه من معه من أبناء الصحابة وأطاعوه ، ومنها قولهم ابتدع في جمع القرآن فأحرق المصاحف . قلنا هذه من الأيادي التي أثقل بها كواهل المسلمين : اختلف الناس في القراءة فأدركهم بالرد الى مصحف جمعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأحرق غيره من المصاحف حسماً لمنشأ الاختلاف في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومنها قولهم زاد في الحمى · قلنا شرع الحمى للحاجة اليه فزاد فيه لزيادتها · ومنها قولهم كتب مع غلامه الى عبد الله بن أبي سرح بأمره بقتل من ذكر في الكتاب · قلنا قد يكتب على لسان الرجل وينقش على خاتمه ويرسم على خطه ولقد قال لهم عثمان رضي الله عنه : إما أن تقيموا شاهدين على ذلك وإلا فيميني اني ما كتبت ولا أمرت · قالوا لم يسلم اليهم مروان حين طلبوا ذلك منه قلنا لو سلمه لكان ظالماً وانما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان · ومنها قولهم ولي مروان ولم يكن من أهل الولاية · قلنا مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وغيرهم · اما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه وأما التابعون فروى عنه عروة بن الزبير وعلي بن الحسن أثبت ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب · وأما فقهاء الأمصار فانهم يعظمونه ويعتبرون إمارته وينقادون الى روايته قال ابو بكر ابن العربي في العواصم وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم · ومنها قولهم عزل ابا موسى عن البصرة وولى عبد الله بن عامر بن خالة عثمان رضي الله عنه · قلنا ان عزله لأبي موسى لاختلاف الجند عليه جند البصرة والكوفة وولى عبد الله لأنه ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها أم حكيم · وأي حرج على الحاكم ان يولي أخاه أو قريبه ولاية هو لها أهل وانما ينكر من ذلك ما كان عن غير أهلية قال ابن عبد البر لم يختلفوا ان عبد الله بن عامر افتتح أطراف فارس كلها وعامة خراسان وأصبهان وحلوان وكرمان وهو الذي شق نهر البصرة · ومنها قولهم كان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا وأعطى لمروان خمس افريقية · قلنا هذه دعاو باطلة ينسجها الحسدة على منوال اغراضهم ·

طرابلس الغرب : احمد محمد الفساطوي

نغب من مناهل الأدب

— ٤ —

سمّوا اولادهم كلثوم

فلماذا لا يسمونهم كلبصل ؟

دخل العتّابي علي المأمون لأول مرة فأكرمه وأدناه وكان في المجلس اسحق بن ابراهيم فغمز المأمون اسحاقًا على العتابي . فجعل العتابي لا يأخذ في شيء الا عارضه اسحق بأكثر منه فبقي متعجبًا ثم قال يا أمير المؤمنين . ائذن لي في مسألة هـذا الشيخ قال سله قال :

— يا شيخ من أنت وما اسمك ؟

— أنا من الناس واسمي (كل بصل)

— أما النسب فمعروف واما الاسم فمنكر وما (كل بصل) من الأسماء ؟

— ما أقل انصافك ! ! وما (كل ثوم) من الأسماء ؟ البصل اطيب من الثوم

— لله درك ما أحجك (أي أقوى حجتك)

ثم التفت العتابي الى المأمون فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت كالشيخ قط وما اظنه الاالشيخ الذي يتناهى الينا خبره من العراق ويعرف بابن الموصلي وهكذا تعارفاوتواصلا .

أقول :وجعلُ اسحق اسم (كلثوم) مركبًا من (كل ثوما) حتى صح له ان يقيس عليه اسمًا مركبًا من (كل بصلا) — هذا الجعل ليس جِدًا وانما هو هزل ومداعبة . والا فان (كلثوم) وصف مشتق من (الكلثمة) وهي تجمّع اللحم على الوجه مع حسن إستدارته بحيث يكسبه ذلك ملاحة فان أكسبه سماجة لم تكن (كلثمة) ولاصاحبها (كلثومًا) وانما كانت (جهومة) وصاحبها (جهما) . ويظهر من كلامهم ان (كلثوم) مما تسمى به الرجال . ويكون للمرأة غلام (ولو فرضا) فتكنى به . وأشهر من كني به في المتقدمين

ام كلثوم ابنة النبي (ص) وفي المعاصرين (ام كلثوم) المغنية المصرية المشهورة . اما جهم فأشهر من سمي به (جهم بن صفوان) الذي تنسب اليه (الجهمية) من فرق الملل والنحل و (علي ابن الجهم) الشاعر المشهور صاحب القصيدة التي مطلعها :

(عيون المها بين الرُصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري)

يعود السلام

وتعود المياه الى مجاريها

وقالوا : يعود الماء في النهر بعدما ذوى نبت جنبيه وجفت مشارعه

فقلت : الى أن يرجع الماء جارياً ويخضرّ جنباه تموت ضفادعه

حارب تشتهر

يزعم ابن عُنَين الدمشقي ان الشهرة الحقيقية لاتكون الا بالبطولة والفوز في الحروب فهو يقول

ومن لم تنوه باسمه الحرب لم يزل وان كرمت آباؤه خامل الذكر

ويكذّب زعمه ان شهرته هو لم تكن بسبب الحرب . اللهم الا ان يدعي الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة الحرب فتشمل الحرب التي تراق فيها الدماء ، والحرب التي يراق فيها ماء الحياء . وهي حرب الشتائم والبذاء . التي اشتهر فيها ابن عنين .

الشعر الغنائي

ومما ينسب الى (علية) ابنة المهدي وقيل هما لغيرها :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه اقبس اذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم اذا نظرت فلم أبصرك في الناس

المغربي

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الثامن عشر

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء